فلسفة الألم

ندرة اليازجي

البحث في الالم بحث في الغبطة ، انه غوص الى اعماق الوجود لادراك حقيقة الايجاب والسلب ، حقيقة الخير وانعدامه ، ولما كان موضوعنا هذا يطرح واقع العالم ، واقع الكون والانسان ، فاننا نتساءل عن حقيقة هذا الواقع ، أهو ألم أم غبطة ؟

كل ما في الوجود ألم وكل مافي الوجود غبطة ، انه ألم الغبطة . فكيف يكون الوجود ألما يشتمل على الغبطة ؟ وكيف يكون سلبا يحتوي الايجاب ؟

واذا كان واقع الانسان يشير الى الالم . فان وجوده يثير موضوع غايته ، فما الغاية من وجود الانسان : أهي تحمل الالم أم هي غبطة الوجود ؟ ألا تشير غاية الانسان الى تحقيق الغبطة من خلال الالم ؟

• قبل أن نطرح موضوعنا في أبعاده الكلية ، يتوجب علينا دراسة عناصره الرئيسة ، فنقسمها الى ستة رئيسة :

١ ـ الالم السلبي
٢ ـ الالم الرومانسي
٣ ـ الالم الانساني
٤ ـ الالم الوجودي
٥ ـ الالم الفلسفي
٦ ـ الالم الايجابي

١ـ الالم السلبي :

السلب قائم في الوجود وهو الطريق الى الايجاب ، ومن خلال السلب يتحقق الايجاب ونعرف الحقيقة ، فكيف يكون الالم السلبي وسيلة للوصول الى الحقيقة ؟
من خلال بحثنا هذا نطرح مشكلتين:
آ ـ الالم واللذة .
ب ـ التعلق والرغبة .

١ـ الالم واللذة :

اللذة تعبير عن تلقائية الذات في كل اتجاه . واللذات تعبير عن سلبية الوجود الانساني، فاللذة مصدر كل حزن والم سلبي لأنها تحمل نقيضها دائما . ويبدو المنقيض في عالم المادة لان كل عمل من اعمال اللذات يحمل فنا ٥٤ وتعرف اعمال اللذات بانها اللذات التي يسعى اليها الانسان . وتصبح معيشته المادية حقلا من اللذات ينتقل فيها الانسان متغطرسا ، ذلك لان ذاته تفرض وجودها .

فاللذة تعني مقاومة المادة بشكل ذات ، وينشط الانسان لتحقيقها وهو يمتلك القوة الجسدية . اما عندما تغرب شمس الشباب ، وتتحول طاقة الانسان الى روح ، يتأمل الانسان حياته ، فيجد ان لذته لم تكن سعادة ، ولم تكن حقيقة او عقلا ، بل كانت انفعالا في باطن اللذات، في باطن المادة . وتهدأ براكين اللذات وتنطفيء اللذة . وعندئذ يدرك ان اللذة انطلقت من الضعف لا من القوة ، من اللاوعي ، لا من الوعي ، من الجهل لا من المعرفة ، لذلك لم تكن سعادة .

الناس الذين يحققون ذواتهم يتألمون لأنهم يفكرون في الشيخوخة ، انهم لايتحملون

عبء الشيخوخة لأنها ستحرمهم من ذاتهم التي اظهرت شهواتها ولذاتها بشكل عنيف ، فكانت خيرا ذاتيا ، آنيا ، انهم يتألمون لأن أجسادهم ستذوي ولذاتهم ستنقضي وخيرهم المادي - الذاتي سينقلب الى شر ، فهم يجهلون مبدأ التحول في الحياة ويجهلون الغاية من حياتهم .

اللذة لا تنمو وتترعرع الا في احضان الجهل واللاوعي ، وعندما تقلفاعلية الانسان للفهم والوعي تنفعل فيه ذاته ، بشكل لذة ، وعندما تنعدم السكينة تنبثق اللذات وتسيطر من خلال الفوضى .

ولقد رأيت ان الانسان يندم على لذاته عندما يكتشف عيوبه واخطاءه ، انه يقدم على لحظة لذة فقد السيطرة فيها على نفسه ، وعلى لحظة ضعف استسلم فيها لرغباته ، وعلى طمع ابداه في مسألة ما وتورط في مشكلة ، او على انتصار احرزه وعلم انه فشل واندحار ، وعلى امل حققه وعلم انه من فعل الخيال والوهم . وعلى مجد ناله وعلم انه كان زائفا ، او على لذة عابرة نتجت عن مصيبة حلت بغيره . انه يندم على اللحظات التي فقد وعيه فيها فيتألم .

وتعتبر حياة الانسان سلسلة من الالام . ولما كانت كل لذة تحمل معها نقيضها ، اي الالم السلبي ، لانها آنية وغير واعية ، لذلك يحيا الانسان عبدا لنزواته ولذلك تكون الذات مصدر كل ألم وشقاء لأنها مصدر كل لذة . وهكذا تصدر اللذة عن تلقائية الذات ولا وعيها . ولما كانت هذه التلقائية لا تعبر عن حقيقة لأنها لا تخضع لقوة مفكرة وعاقلة . فانها تحمل الشقاء والتعاسة . ففي كل لذة تعاسة ، وذلك لأن التفكير يعقب اللذة . وعندما نسلط اضواء عقلنا على لذاتنا ، نجدها تافهة

يصدر الم الانسان عن هذا التأرجح الذي لا يستقر ولا يخضع للقوة المدركة فينا . وهكذا تقاس اللذة بالالم . فاللذة في نهايتها الم . انها تصدر عن احساساتنا ، وألمنا ينتج عن هذه الاحساسات بعد اعمال العقل والوجدان ، نتألم دائما لاننا نلتذ دائما . وكلما وجهنا اضواء ادراكنا نحو لذاتنا وجدنا ضعفنا وسقوطنا . وعندما نستمر في عالم ذاتنا ، نعمل على ابقاء انسانيتنا في حالة السقوط . سقوط العقل الى عالم الذات ،

ب - التعلق والرغبة :

ينشأ الالم من التعلق والرغبة ، فلكي يزول الالم يتوجب على الانسان ازالة الرغبة والتعلق ، فمن التعلق ينشأ الالم ، ومن الرغبة تنشأ الحسرة والاسى .

يتعلق الانسان بالاشياء ، وبزوالها يتألم ، ويرغب الانسان في الاشياء ، ومن عدم تحقيقها ينشأ الالم ، ان فقدان الاشياء او عدم تحقيقها وفق ما تفرضه الذات والانانية ، يؤديان الى الالم .

لقد شدد الحكماء على التجرد ، واشاروا الى انتصار الانسان على كل شيء في عالم الذات ، انهم علمونا ان نترك كل شيء لكي لا نتعلق بشيء ولكي لا يزداد حزننا أو المنا ، ولما كان قلب الانسان يتعلق بامور الدنيا فان الحرمان منها يشير الى الالم .

اننا نتعلق بأبنائنا

واخوتنا واقاربنا وغيرهم ونتعلق بالسلع والمجد، ونرغب في الشهرة والمال والعظمة الفارغة، اننا ننحرف الى الماديات ونبني آمالنا عليها. ولذلك فان الم الانسان ينشأ، بل يستمر، من فقدان الاشياء او عدم تحقيقها، ولما كان الانسان لا يدرك مغزى حياته الا من خلال تعلقاته ورغباته فان المه يقوم فيها، ان هو حققها او لم يحققها. فالحصول على امر والاستزادة منه يعادلان الحرمان منه. ففي حالة الحصول نتعلق وفي حالة الحرمان نرغب، ويتأرجح الانسان بين الرغبة والتعلق ويرى وجوده خاليا من المعنى.

ان التعلق ينشيء في الانسان حالة لا تنتهي من القلق والالم، والرغبة تنشيء فيه حالة مماثلة، وعندئذ، يربط الانسان وجوده بتعلقاته ورغباته. فيتألم في كلا الحالتين، زاعما ان الحياة تتحقق فيهما.

الالم الناتج عن اللذة والتعلق والرغبة الم سلبي، يقض مضجع الانسان وينهش روحه ويرميه في عالم القلق والضياع. ان الما من هذا النوع ضياع، ذلك لان الوجود لا ينحصر في متع المعيشة بل يتعداها ويتجاوزها الى الجوهر والكيان والروح. وهكذا يزداد الم من لا يكتفي، لان اللذات تطلب، فتتراجع الروح، ومتى اكثرت اللذات من مطالبها ازدادت تعلقا بها ورغبة. وعندئذ يعكس الانسان انوار فكره على مأساته هذه يجد ان ما يسعى اليه من متع وسلع ومجد ليس الا وهما، فتزداد حيرته وتنقلب الى ضياع .. والضياع مظهر من مظاهر الالم.

٢ - الالم الرومانسي

تشير نوازع الانسان واشواقه الى طاقة داخلية تتحرك، ففي اعماق الانسان امال وعواطف تهفو الى التحقق وتأمل بالاستمرار. ان عواطف الانسان تتجه الى تحقيق ذاتها في الاخر، وذلك لكي تعبر عن علاقة صميمية بهذا الاخر. فلقد ابدع الشعراء والادباء في التعبير عن مكنونات القلب الانساني، وصوروا سعادة الانسان وشقاءه في ظل الحب والتعاطف، ولذلك فاننا نجد اعظم واجمل ما عبر عنه قلب الانسان في اللهفة والشوق، في اللقاء والبعاد، في بث الخواطر والنجوى. فكأن الانسان يبث لواعج قلبه لنفسه من خلال الاخر.

الصديق يتألم لبعاد صديقه وفراقه، والمحب يتألم ويتحرق لرؤية حبيبته، والحبيبة تتألم لأنها لا تحقق عواطفها، والام تتألم لفراق ابنها او زوجها اوابنتها، وكل انسان يجد في الاخرين ملاذا له وذلك لأنه يبحث عن نفسه في الاخر، هنالك نداء القلب للقلب، والروح للروح، وهنالك نداء عميق للاخر في الانسان، والانسان يتألم من عدم تحقيق هذا النداء الداخلي.

ولقد ابان الشعراء والروائيون مآسي الانسان وآلامه في الملاحم الكبرى العظيمة وكشفوا عن مأساة البطولة في الحب والحرب والتضحية. وندب اولئك الشعراء مصير الانسان الذي تألم في سبيل هذه الامور. وزينوا العواطف واللواعج والاشواق بأجمل الالفاظ فحملت الالم في ثناياها، واشعرت من يقرؤها بالالم، ذلك ان الانسان يشعر بالاخر من خلال وضعه، لذا، نرى الناس يميلون الى

قراءة المأساة ويعرضون عن الملهاة ما لم تكن مأساة بذاتها لكأن الحياة الم رومانسي ٠انهم يتحركون في عواطفهم ، في اعماقهم ويتوقون الى ، بل يحبون ، ذلك الالم الصافي ٠

كان الفرد ده موسيه شاعر الالم الرومانسي ، كان شاعرا علمنا ان الالم العظيم يجعل الانسان عظيما ، ونستطيع ان نرى في اساطين الموسيقي والرسم والكتابة نماذج اخرى لموسيه ٠ لقد انطلق اولئك من شعور دفين بالالم ٠ ولم تكن عبقريتهم لتتفتق لو لم يتألموا ٠

لماذا تألم هؤلاء ؟ هل تألموا من المجتمع ؟ ولماذا تألموا من المجتمع ، هل ان ابداعهم كان وليد حب ، او عاطفة او خيبة امل ، او شعور باطني عميق بالمأساة ؟ انهم شعروا ابرقة الالم وتلمسوا مأساة الوجود من خلال صراع داخلي بان الخلق لا يتم الا في الالم ٠

كان المهم تعبيرا عن واقع الانسان ،كان تعبيرا عن صدمة الانسان تجاه الواقع ، فالحب الذي لا يتحقق ، والفكرة الجميلة التي لا تلقى صدى لها ، والمشاعر النبيلة التي تدفن ، والعواطف الانسانية التي تخبو ، والعبقريات التي لا تلقى الاستحسان ، عبرت عن ذاتها بألم رومانسي نبيل ووجداني ، ويؤسفنا القول ان هذا الالم الرومانسي المبدع يتلاشى يوما بعد اخر ، ذلك لان مشاعر الانسان بدأت تميل الى التحجر ،، وتطلعاته بدأت تحدث في عالم لا يعبر عن حقيقته ، ان الما من هذا النوع يرفع الانسان الى درجة الشعور بانسانيته من خلال التعبير عن نبل عواطفه وسموها ٠

٣ – الالم الانساني :

نعتبر هذا الالم نتاجا للواقع الاجتماعي المأسوي الذي يحياه الانسان ٠ ففي العالم عدد كبير من البؤساء والمحتاجين والمعوزين والمرضى والمظلومين اللذين يئنون من وطأة ضغط اجتماعي فرض عليهم ٠ وليس شعور الانسان ازاء هذا الموقف الا شعور الالم والاسى ، وهكذا ينطلق ألم الانسان من وضعه ٠ وينقسم هذا الالم الى قسمين : الم ازاء نفسه ، والم ازاء الاخرين ٠

ان وضع الانسان الاجتماعي يحدد مقدار المه ٠ فاذا كان يعاني من وطأة الضغط الاجتماعي ، يتألم ويكون المه تعبيرا عن احتجاج صارخ لفقدان العدالة ، وان كان وضع الانسان يسمح له بأن يرفق بالاخرين ويشعر بشعورهم ، فانه يتألم ، ويكون ألمه هذا تعبيرا عن احتجاج لفقدان العدالة

لقد تألم المصلحون الانسانيون لانهم رأوا ان ظلام الانسان يخيم على المجتمع ،اي على الاخرين ، انهم تألموا وهم يشاهدون مأساة الانسان الاجتماعية هنالك الضغط ، ضغط فرد على اخر ، هنالك الكبرياء والغطرسة ، والاستثمار والاستغلال ،والاحساس بالعظمة الفارغة ، هنالك الانانية والذاتية التي تسمح للانسان ان يضطهد انسانا اخر وان يحرمه معنى وجوده المعيشي والحياتي ، المادي والمعنوي ، ان كتابا امثال فيكتور هيجو وتولستوي ، وغيرهما استطاعوا ان يصوروا واقع الانسان الاجتماعي فعبروا عن بؤس هذا الواقع وتألموا من اجله ، فشعروا

مع المعذبين والبؤساء والمحرومين وكان ألمهم انسانيا ، ولقد عبر المسيح عن هذا الالم ، فكان الى جانب المظلومين .

عندما نتحدث عن الالم الانساني لا نشير فقط الى ألم البؤساء والمعذبين من بني البشر ، بل الى الم اخر نشعر به تجاه الظالمين ، فعندما نقول بأننا نشعر مع المظلومين فانما يعني ان ظلمهم ناتج عن ظالم اخر ، وبهذا الصدد نتألم من اجل الظالمين انفسهم لانهم ضائعون . انهم سبب البلاء والمصيبة . ومن جانبنا ، نتألم على انسان ظالم لأننا نعتبره ضائعا ، وليس ألمنا الا تعبيرا عن الشر والخطيئة التي يسببها ، فاننا نتألم لأنانيته وذاتيته وكبريائه ، نتألم لانه لا يحقق انسانيته ، ولأنه اضاع كل قيمة بالشعور الانساني . فالالم الانساني تعبير له حدان : حد يصيب الظالم وحد اخر يصيب المظلوم . وليس المظلوم الا نتاجا للظالم ، وليس الالم الذي يصيبنا عندما نفكر بالمظلوم الا الما يعبر عن ذاته كاحتجاج ضد الظالم ذاته . اننا نتألم لان الانسان اضاع غايته ، فهو لا يعرف انه قد وجد ليخدم ، وعندما يجهل الانسان هذه الحقيقة ينقلب المجتمع الى حقل صراع رهيب ينتج عن انانية الانسان . فالمتكبر اناني ، والمتسلط اناني ، والمستثمر اناني ، والظالم اناني انهم جميعا اضاعوا انسانيتهم ، ولهذا نتألم . اما الذين ظلموا فاننا نتألم من اجلهم . لانهم ضحية الظلم القاسي .

الالم الانساني الم ايجابي يرفع الانسان في درجات انسانيته ليصل الى روحانيته . فلا يتألم الا العظيم ، اما الاناني فانه يعتبر الموضوع مجرد امر اجتماعي واقعي . اما العظيم فانه يعتبره شذوذا عن قاعدة المحبة والمثالية وهكذا لايشعر بالالم الا صاحب الشعور الانساني العظيم ، اما نتائج هذا الالم فانها تبدو سلبية لان الاحتجاج الصادر عن المظلوم يحمل في ثناياه روح التمرد والعصيان والنقمة . انها نقمة ، لا بل هي الم ، نتج عن دافع مأساوي تسبب عن انانية الانسان الظالم وانحطاطه .

٤ – الالم الوجودي :

ما الغاية من الوجود ؟ ما الوجود ؟ هل للوجود ماهية ؟ يعتقد الوجودي المادي ان الماهية حصيلة الوجود . فما الوجود في رأيه ؟ الوجود نزعة تلقائية يعبر عن ذاته بذاته من خلالها . وكيف يعبر الوجود عن ذاته ، بل كيف يكون نزعة تلقائية ، مشحونة بالانفعال ؟

تلتقي الوجودية المؤمنة والملحدة على صعيد واحد في صدد تحليل نزعة الوجود التلقائية ، وتختلفان في تعليل الماهية والوجود . ولما كان موضوعنا بحثا في فلسفة الالم فاننا نهمل موضوع الاختلاف هذا .

الوجود عبث ، الوجود لا مبالاة ، الوجود لا جدوى ، ذلك لانه ينتهي بالموت ، الوجود غربة اذن ، الوجود قلق داخلي يقود الانسان باتجاه ذاته .

هكذا يفكر الوجودي ، ولكنه لا يدري كيف يجيب على سؤال طرحه على نفسه ، الا وهو : كيف يعبر الوجود عن ذاته في تلقائية او نزعة داخلية لا تدرك ذاتها ؟

ان انقسام الوجودية الى

قسمين ، مؤمنة وغير مؤمنة ،يجعلنا نتيه في غاية الالم الوجودي ، الوجودي المؤمن يعتقد بغربة الانسان ، فيحن الىمثواه او الى وجوده الاعلى ، لكنه يرتمي في احضان القلق والعبث واللامبالاة واللاجدوى ، فماذا يقصد الوجودي؟ أليس الوجود نزعة تلقائية ؟ وبالتالي ضياعا والما ؟

والموت : ألا يفغر فاه ليبتلع الانسان ؟ واذا كان الموت يشير الى العدم ، افلا يعني ان حياة الانسان قلق وبطلان ؟ واذا كانتالحياة تنتهي بالموت ،بالعدم فلم لا يملأ الانسان حياته باللذة الحسية ، ليحقق نزعته التلقائية ؟ واذا اردنا معرفة الحقيقة نقول ان وراء اللذة الما يمزق الانسان ويبدو عند الوجودي بمظهر القلق والضياع والاغتراب والعبث واللامبالاة ولا جدوىالحياة ، ألا تعبر هذه المظاهر عن الم دفين ينهش الانسان في داخله ؟ ألاينتج هذا الالم عن شعوره بالضياع ؟

ألم الوجودي الم سلبي يقضي على حقيقة الانسان ويضعهوجها لوجه امام عدمه • فاذا كان الوجود قائما حقا ، فانالعدم لا يوجد ، وذلك لانه لا يوجد سوى الوجود ، واذا كان الوجود قائما فانالعبث و اللاجدوى والضياع مظاهر عدم التعقل او عدم الفهم• ولهذا ، كان هذا الالم سلبيا يؤدي الى ضياع الانسان في وجوده الذي يعبر عن تلقائية قاتلة لا تعرف ذاتها ولا تتعرف على حقيقتها •

انالوجودي لا يعرف ذاته •• ومن لا يعرف ذاته يتألم سلبيا ، اما من يعرف ذاته فانه يتألم

ايجابيا وذلك عندمايدرك واقع الانسانية المعذبة التي لا تدرك ذاتها •

٥ - الالم الفلسفي :

يعتبر الالم الفلسفي بحثا في موضوع الشر ، فما الشر وكيف وجد ؟

يعيد بعض مفكري اللاهوت الشر الى فكرة السقوط التي نتجت عنها الخطيئة ، فالالم في رأيهم يتسبب عن الخطيئة التي اقترفها الانسان وما زال يقترفها • وهكذا يكون الشر في قلب العالم ، وبالتالي يكون الالم• في زعمهم يتألم لأنه يقترف الخطيئة •

ان اعتقاد اللاهوتيين مردود وذلك لأن السقوط حدث قبل وجود الانسان ، وبالتالي فان الشر قد وجد قبله ، والالم قد تأسس ايضا • ان سقوطا في الاعالي حدث قبل سقوط الانسان • فهل كان الشر عندئذ ، وهل كان الالم ؟

اذا كان الالم قد تأسس في اصل الوجود ، واذا كان الشر متضمنا فيه ، فان الوجود يشير الى معاناة من الوجود في سبيل تحقيق ذاته ، فالوجود ألم، ومن اجل الانتصار عليه والتخلص منه يحتاج الانسان الى تحقيقه• ولكننا عندما نريد فهم واقعة الالم في الوجود ، يتوجب علينا ان نأخذه من الوجهة الفلسفية المحضة•

في الوجود الم •• وهكذا يكون الالم فلسفة الوجود • فكيف تفسر هذه الواقعة ؟

ان مشكلة الشر لا تطرح ذاتها بمقياس اللاهوتي ، فالشر لا يوجد بشكل عياني ، بل هو متضمن في سلبية الوجود • فلا شيء في الوجود يفصح عن ذاته بانه شر هنالك اذن سلب متضمن فيايجاب ،

وعلى الانسان تقوم معرفة هذه الحقيقة ، واذا كان علينا ان نتحدث في هذا الموضوع ، فاننا نقدم الأمثلة التالية :

الشر هو انعدام الخير .. اذن لا وجود له بمعنى الوجود العياني اي الواقعي ، فالحجر ، على سبيل المثال ، ليس شرا او خيرا - انه حيادي تماما . لكن استعماله من قبل وجود عاقل يحدد ماهية الخير التي ، اذا انعدمت ، تصبح تحقيقا لسلب اي تحقيقا لشر .

والجهل هو انعدام المعرفة اذن لا وجود له ، ذلك لان هنالك طاقة في الانسان تدعى الوعي وليس هنالك ما يسمى اللاوعي ، فاللاوعي يتحقق متى انعدم الوعي ، والجهل يتحقق متى انعدمت المعرفة .

واذا ادركنا الان كيف ينقلب السلب الى شر ، نقول ان الجهل واللاوعي شر ذلك لأنهما يشيران الى نقص في ماهية الخير ، اي المعرفة والوعي ، فالشر نقص لماهية الحقيقة ، والخطيئة نتاج لعدم المعرفة والوعي .. وهكذا لا تكون الخطيئة سابقة لوجود الشر ، بل هي نتيجة لعدم تحقيق المعرفة والوعي .

هذا هو الالم الفلسفي ، البحث الدائم عن حقيقة الوجود ، ولما كان الانسان يبحث على الدوام ، فان الالم يرافقه ، ذلك لأنه كلما وصل الى درجة يقين ، يجد ان درجات اليقين لم تكتمل بعد . ولهذا فانه يتألم لان النقص في المعرفة ما زال قائما فيه . انه يسعى وراء ايجابيته الكاملة ، ولكن السلب ما زال قائما في اعماقه .

وهكذا يتألم وهو على طريق المعرفة والحق ، طريق الجلجثة ، طريق الخلاص .

ينشأ المي ، لا من الشر المزعوم في الوجود ، بل من محاولتي الدائمة لتحقيق الوجود . ولما كنت لا اصل الى الحقيقة المطلقة ، فانني أتألم ، وليس ألمي هذا الا مظهرا حقيقيا للوجود ذلك لأنني ، دون هذا الالم ، لا اندفع في تيار المعرفة . انه نداء روحي لمعرفة الحقيقة ، انه عالمي الذي ينشد ذاته .

الالم الفلسفي يشير الى وجود الالم في قلب الوجود ، في قلب العالم . وهذا الالم هو لعب المطلق في الوجود ، هذا الالم الذي هو سلب الايجاب في صراع ذاته ، وكلما حقق الانسان ذاته من خلال المه حقق المطلق ووجد نفسه . فالمطلق ذاته يتألم في سلبه هذا . وهذا هو دور الانسان في عملية تحقيق المطلق في عالم السلب ، في عالم الالم ، فالشعور بالوجود الم ينشد ذاته في اعماق الوجود .. وبقدر ما يتألم يحقق .

ويتحول هذا الالم الى غبطة ذلك لان النقص يتضاءل ليصير الى كمال ، ان سعي الانسان الى الكمال يشعره بالنقص ، ولما كان النقص سلبا ، كان الما ، ويتجاوز الانسان هذا النقص ، فيكتمل شيئا فشيئا . ففي كل درجة يتألم لكنه يغتبط . وهذا الشعور بالنقص يدفعه في تيارين : تيار الالم السلبي الذي يقضي على الانسان فيرميه في عالم الضياع والعبث واللاجدوى ، وتيار الالم الايجابي الذي يريه حقيقته ، فينشدها وهو في طريقه الى تحقيقها ، بغبطة تحقيق المطلق .

٦ - الالم الايجابي :

ان غبطة تحقيق المطلق من خلال الم الحياة هي الالم الايجابي

وهذا هو الم ابن الانسان .
لماذا يتألم ابن الانسان ؟ الا يدل هذا على وجود الالم في الوجود ، الالم الفلسفي والروحي الذي يعاني منه المطلق في سره ، وماذا يعني الم ابن الانسان ؟

ان الم ابن الانسان يشير الى شعور علوي يعكس ذاته على العالم ، وماذا يجد هذا الشعور في العالم ؟ انه يجد مأساة الانسان في العالم ، في ولادته وموته .

هذا الانسان الذي لا يحقق وجوده والغاية التي وجد لاجلها ، لا يعرف لعب المطلق ، سلبه وايجابه ، ولا يصل الى حقيقته المطلقة وغبطته ، هذا الانسان الذي اغترب عن ذاته ليجد ذاته ، اغترب عن حقيقته ، فاضاع ذاته ، وقلق وتمزق وحقق عالم السلب ، هذا الانسان يتألم ، ويستحق الرأفة والشفقة .

ان ابن الانسان يشاهد مأساة الانسان فيتألم ، وبألمه هذا يشعر مع الانسان فيريد احتضانه ومعانقته ، ويريد العودة به الى حظيرة الحقيقة ، الى المحبة ، الى الفردوس الروحي الذي اضاعه ، كما يريد ان يبعده عن مأساته لكي لا يكون اسيرها ، ويعلمه طريق الخلاص ، ويريد ان يعود به الى عالم النور ليقضي على مملكة الظلام . لكن الانسان يرفضه ويفضل البقاء في ظلامه ، في عالم مأساته وألمه .

ويتألم ابن الانسان على الانسان ، انه يتألم من اجل نفسه على نفسه لانقاذ نفسه ، اي الانسان ذلك لان ابن الانسان يرى نفسه في كل انسان ، فيشعر مع الانسانية جمعاء . وفي هذه الانسانية يجد فيتألم ابن الانسان ليحمل وزر هذا العالم ، وليطرح بثقله الى الهاوية .

ان حياة ابن الانسان وصراعه مع السلب يشير الى الالم الفلسفي ، الالم في قلب العالم ، ذلك لكي يطرح هذا العالم وينتهي الى الغبطة ، ولهذا يعلن ابن الانسان "ان رئيس هذا العالم قد دين" ويعني ان الم السلب قد انتهى ، ذلك لانه قد اكمل واتم .

في ابن الانسان نجد الم العالم وقد تحول الى غبطة العالم ان الم العالم الناتج عن وجود السلب ينتهي ، ليتحول الى غبطة العالم الذي يعبر عنه الايجاب ، انه نزول المطلق الى العالم وصعوده الى نفسه ، من خلال الم الوجود . ان المطلق يتألم ليعرف ذاته ، ليحقق ذاته ، ليعود بذاته الى ذاته ، اي بالانسان الى الحقيقة ، فالالم الايجابي تحقيق للوجود ، تحقيق لمعاناة المطلق من ذاته في شعور داخلي ، في محبة العالم ، وفي التضحية من اجله ، انه شعور بذاته وهو يعرف ذاته . فالمطلق يتألم في العالم الذي هو سلبه . والم المطلق ، بل الم الانسان ، يشير الى عمق الانسان في ذاته ، انه يغترب عن ذاته ليعود الى ذاته ، ويتألم من ذاته ليدرك ذاته ، فالالم ينتج عن رؤية الانسان لذاته في مرآة ذاته . انه يرى السلب ، فيتألم ليعرف ذاته ، وقد شاهد ابن الانسان مرآة العالم ، فرأى سلبه ، رأى الجهل والانانية واللاوعي والخطيئة ، فتألم ولهذا نرى ان الانسان يطهر نفسه بقدر ما يتألم ، فالالم شعور بالوجود لتطهير الوجود ، لخلاصه ، ولتحقيقه في نورانية الحقيقة السامية .

الخلاصة :

هكذا ينقسم الالم الى قسمين سلبي وايجابي .

الالم السلبي هو انعكاس في سلبية الوجود ، فيقلق الانسان به : هو الم ينتج عن الرغبة والتعلق بكل شيء ، بالسلع والمتع والشهوات والماديات : هو الم يشير الى ضياع الانسان في عالمه ، هو هذا القلق الذي يمزق الانسان في داخله وهكذا يظل الانسان عبدا للعالم .

والالم الايجابي هو الم الوجود الذي يعبر عن ذاته بمخاض داخلي ، باغتراب داخلي وخارجي يتعمق في العالم ، بثورة عارمة على الانسان ذاته ، بشعور المأساة والشقاء ، هذا الالم الذي يصعد الانسان من سلبيته ليتجاوزها الى ايجابيته ، وهكذا يتخلص الانسان من عبودية العالم .

الالم السلبي يعني شقاء الانسان ، وتعاسته ، والالم الايجابي يعني تجاوز واقع الانسان الى الغبطة ، الى الشعور الكامل بحقيقة الوجود ، عندما يتجرد الانسان من السلب .

وبين هذين الالمين يتأرجح الم الوجودي الذي يميل الى الانحدار نحو الالم السلبي ،والالم الفلسفي الذي يشير الى ميل نحو تحقيق الذات من خلال الشعوربضآلة الذات وعذابها في مجرى التطور الكوني والانساني الى حالة اكثر نقاء .

الالم في حده الايجابي ، هو السير على طريق الجلجثة ، طريق الخلاص ، من اجل تحقيق انسانية الانسان المتضمنة في حقيقة المطلق

وفي القديم قيل " ينعدم الالم متى تساوى الذهب مع الحجر" وهذا يعني عندما تتوقف رغبات الانسان وتعلقاته .. ويحقق الانسان توازنه الداخلي .

*

الورقة السابعة
الكندي
(٨٠١-٨٦٦)

أحمد سنبل

اطار عام :

لقد فتح العرب أصقاعا واسعة .. حتى أن خارطة العالم بأكمله كانت ورقة عمل أمامهم ، وأستطيع القول بأن عناد العربي قد انتقل من محاولة أنسنة الصحراء القاحلة ، العقيم ، الى التركيز في هم جديد هو نشر الحضارة العربية في الاصقاع المفتوحة . ولم يكن الامر هينا أبدا . فقد كان على العربي أن يعمل الفكر في كل الثقافات التي سبقته فيستوعبها ، ثم يتجاوزها .

وكانت الفلسفة اليونانية أول تحدياته في سياقه الحضاري ، فهو اما أن يثبت أنه أكبر منها كي يتجاوزها ، أو أن يسقط ، وهنا تميز ، وتركز الذكاء الحضاري العربي ، في الاصرار على المضي في الطريق مهما صعبت أو امتدت . لذا نجد العربي يضع أمامه الواقع ، ثم يعي هذا الواقع ، ويحاول التجاوز بخطوات واثقة فيها يتجمع التمحيص والملاحظة والتدقيق ، ثم تحدث القفزة الواثقة : شرحا أو تأليفا او ابداعا .

ونحن هنا نضع بين أيدينا أوراق الفلسفة العربية فنتصفحها بحذر واجلال ، فنبدأ بفاتحة الفلسفة العربية عند الكندي ثم نقف عند فيلسوفنا الناقد المبدع ، ابن خلدون .

الورقة السابعة :

الكندي
(٨٠١ - ٨٦٦)

لقد وجدنا من الصعوبة البحث في حياة الكندي ، نظرا لأن المؤرخين لم يتركوا لنا شيئا نقوله ، فقد اختلط الامر عليهم ، كما اختلط علينا ، ومع ذلك يمكن لنا أن نقول : ولد (أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي) سنة ٨٠١ م في الكوفة ، وقد لقب بفيلسوف العرب لأنه أول من اشتغل من العرب بالفلسفة . كان أبوه اسحق بن الصباح أميرا على الكوفة وغيرها في أيام المهدي والرشيد . وقد كان أجداده ملوكا على كندة في جنوب الجزيرة العربية .

نشأ فيلسوفنا يتيما ، تعلم في الكوفة وبغداد علوم الدين ، وعاصر المعتصم بالله ، وقد عاش عيشا مرفها يدرس في المكتبة (الكندية) . بدأ حياته متكلما . اتصل بالثقافة اليونانية وتعلم لغة الاغريق وترجم بلغتهم . قدر له أن يرى انبثاق الحركة الفكرية والعناية بالبحث والنقل والترجمة هذا ما جعل منه واسع المعرفة ، درس الفلسفة في جو ممتلىء بالنزاعات الدينية والمذهبية بعد ان انتشرت رياح الاعتزال في كل مكان .. واختلفت الاراء والمذاهب .

(وقد اختلف الباحثون في تاريخ وفاته اختلافهم في تحديد مولده ، والارجح أنه توفي في أواخر سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م وعزيت اليه آثار كثيرة فقد معظمها ، وعثر المستشرق الالماني (هلموت ريتر) على مخطوطة تضم تسعا وعشرين رسالة نشرها الاستاذ ابو ريدة سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م (١) .

فلسفته :

لقد اصطلح المؤرخون على اعتبار الكندي رائد الفلسفة الاسلامية ، فلا بد لنا من القاء الضوء على فلسفته التي تحمس لها ودافع عنها ، مبينا سوء مقاصد الذين هاجموها .

أنكر الكندي أن تكون الفلسفة علما وثنيا أو طريقا يوقع في الكفر ، أو يخرج عن جادة الدين الاسلامي الحنيف ، فهو قد نظر الى الفلسفة عبر طريقها وتاريخها الطويل الذي قطعته في الفلسفة

اليونانية ، وتتبع خطوات اكابر الفلاسفة مستفيدا مما درسوه ، وما وصلوا اليه • ثم عاد الى عقله – هو – فعرف الفلسفة على ضوء معطيات الواقع قائلا : (هي علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان) ، ورأى ان في (علم الاشياء بحقائقها علم الربوبية ، وعلم الوحدانية ، وعلم الفضيلة ، وجملة علم كل نافع والسبيل اليه ، و البعد عن كل ضار والاحتراس منه) (١)

وقد دعا الى وحدة الصف ، وتجميع القوى لتثبث الفلسفة ذاتها ضد خصومها الذين يغيرون صفتها ، هؤلاء الخصوم الذين يمتدون مع امتداد الزمان والمكان، فكانت الفلسفة هي الحقيقة / الفلسفة / هذا المزيج المتلاحم المتناغم الذي يشكل تراثا بين الامم باختلاف أجناسهم وأماكنهم •

ثم تعرض بعدها الى كشف هوية أعداء الفلسفة المتنكرين لها (من أهل الغربة عن الحق ، وان تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق ، لضيق فطنتهم عن أساليب الحق وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلال في الرأي ، والاجتهاد في الانفاع العامة الكل الشاملة لهم ، ولدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية •• ووضعهم ذوي الفضائل الانسانية التي قصروا عن نيلها وكانوا منها في الاطراف الشاسعة ، بموضع الاعداد الجريئة الواترة ، ذبا عن كراسيهم المزورة التي نصبوها من غير استحقاق ، بل للترؤس والتجارة بالدين ، وهم عدماء الدين ، لأن من تجر بشيء باعه ، ومن باع شيئا لم يكن له ، فمن تجر بالدين لم يكن له دين ، ويحق أن يتعرى من الدين من عاند قنية (ملكية) علم الاشياء بحقائقها وسماها كفرا)(١) •

ويرى أن يكون موقفنا من الفلسفة والفلاسفة موقف الممتن ، العارف بالجميل لأن (من أوجب الحق الا نذم من كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزيلة ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية ؟؟ فانهم ،وان قصروا عن بعض الحق ، فقد كانوا لنا أنسابا وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم التي صارت لنا سبلا وآلات مؤدية الى علم كثير مما قصروا عن نيل حقيقته ، سيما اذ هو بين عندنا وعند المبرزين من المتفلسفين قبلنا من غير أهل لساننا أنه لم ينل الحق أحد من الناس بجهد طلبه • فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلا عمن أتى بكثير من الحق ، اذ اشركونا في ثمار فكرهم• وسهلوا لنا المطالب الحقية الخفية ، بما أفادونا من المقدمات المسهلة لنا سبل الحق ، فانهم ، لو لم يكونوا ، لم يجتمع لنا ،مع شدة البحث في مددنا كلها ، هذه الاوائل الحقيقية التي بها تخرجنا الى الاواخر من مطلوباتنا الخفية فان ذلك انما اجتمع في الاعصار السالفة المتقادمة عصرا بعد عصر الى زماننا هذا ، مع شدة البحث) •

ونرى (فيلسوف العرب) في رسالة حدود الاشياء ورسومها ، يتعرض لتعريف الفلسفة فيقول : (الفلسفة حدها القدماء بعدة حروف :

آ – من اشتقاق اسمها ، وهو حب الحكمة ، لأن (فيلسوف) هو مركب من (فلا) وهي محب ، ومن (سوفا) وهي الحكمة •

ب – وحدوها أيضا من فعلها فقالوا : ان الفلسفة هي التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الانسان •

ج – وحدوها أيضا من جهة فعلها فقالوا: العناية بالموت • والموت عندهم موتان: طبيعي وهو ترك النفس استعمال البدن ، والثاني اماتة الشهوات ، فهذا هو الموت الذي قصدوا اليه ، لأن اماته الشهوات هي السبيل الى الفضيلة ، ولذلك قال كثير من أجلة القدماء :

اللذة شر ، فباضطرار أنه اذا كان للنفس استعمالان ، احدهما حسي ،والاخر عقلي ، كان مما سمى الناس لذة ما يعرض في الاحساس ، لأن التشاغل باللذات الحسية ترك لاستعمال العقل •

د – وحدوها من جهة العلة فقالوا : صناعة الصناعات ، وحكمة الحكم •

ه – وحدوها أيضا فقالوا : الفلسفة معرفة الانسان نفسه ، وهذا قول شريف النهاية ، بعيد الغور مثلا أقول : ان الاشياء اذا كانت أجساما ولا أجسام ، وما لا أجسام اما جواهر واما أعراض، وكان الانسان هو الجسم والنفس والاعراض، وكانت النفس جوهرا لا جسما ، فانه اذا عرف ذاته عرف الجسم بأعراضه ، والعرض الاول والجوهر الذي هو لاجسم ، فاذن اذا علم ذلك جميعا فقد علم الكل ، ولهذه العلة سمى الحكماء الانسان •• العالم الاصغر •

و – فأما ما يحد به عين الفلسفة ،فهو ان الفلسفة علم الاشياء الابدية الكلية ، انياتها ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة

الانسان ٠(١)

أما رأي الكندي الخاص في الفلسفة فيبينه في رسالته الى المعتصم بالله قائلا :

(أن أعلى الصناعات الانسانية منزلة ، وأشرفها مرتبة ، صناعة الفلسفة التي حدها علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان ، لأن غرض الفيلسوف في علمه اصابة الحق ،وفي عمله العمل بالحق ، لا الفعل سرمدا ، لأنا نمسك ، ويتصرم الفعل اذا انتهينا الى الحق) ٠

كما يرى ان الفيلسوف يجب ان تتوافر فيه عدة صفات هي : ذهن بارع ، وعشق لازم ، وصبر جميل ، وروح خال ، وفاتح مفهم ، ومدة طويلة ٠

الله :

ان الله ٠٠ ان طبيعة الله أنه الإنية الحق (التي لم تكن ليس ولاتكون ليسا أبدا ، لم يزل ولا يزال أيس أبدا ويبرهن على وجود الله قائلا انه لا يمكن أن تكون في الاشياء كثرة بلا وحدة ، وكل الاشياء المحسوسة تشترك في الكثرة والوحدة ، وهذا ليس عبثا وانما عن علة لا عن مصادفة ، وهذا الاشتراك في الوحدة والكثرة ليس العلة من ذاتها وانما خارج ذاتها ٠(وليست علة اشتراك الكثرة والوحدة مع الاشياء الكثيرة الواحدة في جنس ، ولا نسبة ، ولا مشاكلة ، بل هي علة كونها وثباتها ، أعلى وأشرف وأقدم منها) ، لسبب (ان المشاركة تجب في المشتركات بعلة خارجة عن المشتركات)٠

ثم يرى ان وجود الله يتجلى في هذا التدبير الشامل ف (العالم المرئي لا يمكن أن يكون تدبيره الا بعالم لا يرى ، والعالم الذي لايرى لا يمكن ان يكون معلوما الا بما يوجد في هذا العالم من التدبير والاثار الدالة عليه) ٠

ويتميز الله تعالى بصفة الوحدانية فهو واحد (لا ذو هيولى ، ولا ذو صورة ، ولا ذو كمية ، ولا ذو كيفية ، ولا ذواضافة ولا موصوف بشيء من باقي المعقولات ، ولا ذو جنس ، ولا ذو فصل ، ولا ذو شخص ، ولا ذو خاصة ، ولا ذو عرض عام ، ولامتحرك فهو اذ ن وحدة فقط محض ، أعنى لا شيء غير وحدة) ٠

والله أزلي ، ومن صفات الازلي انه (لاقبل كونيا لهويته ، فالازلي هو لا قوامة من غيره ، فالازلي لا علة له ، فالازلي لا موضوع له ، ولا محمول ، و لا فاعل ، ولا سبب) ٠

وبالنتيجة نقول : ان مهمة الكندي كانت التصدي ، وشق طريق جديدة ــ طريق الفلسفة العربية ــ والسير في هذه الطريق باصرار وجرأة مع توقع كل المشاق ، وكل الصعاب ، كان يحمل فانوس الفلسفة اليونانية ليضيء له الطريق ، وليؤنسه في درسه ومطالعته وبحثه ٠٠ بحثه عن ضوء عربي يشع فكرا وفلسفة ٠

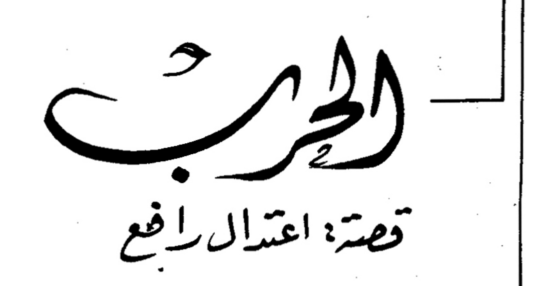
حدد المصطلحات الفلسفية الجديدة ، حدد الفلسفة الاولى التي هي (علم الحق الذي هو علة كلحق) وقد كان له رأيه المستقل ، وطريقه الجديدة في الميدان الفلسفي الذي تعب في تمهيده وتسويته ، ليسهل فيما بعد السير فيه وينتهي الى الميدان الفلسفي الذي هو مجال التنافس الفكري الشريف ٠ اختار ما يناسب عقيدته وعروبته ، من كل الفلسفات التي عرفها ، فكانت هذه الفلسفة الانتقائية المتميزة عن غيرها ، وكان هو ٠٠ هو بالذات فيلسوف العرب ٠

قيل عنه :

* فاضل دهره وواحدعصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها (ابن النديم)٠

* الكندي أول فيلسوف عربي خاض في الموضوعات الفلسفية ٠ والعلمية وعالجها بلغة الضاد فكان شأنه في ذلك شأن ديكارت في اللغة الفرنسية ٠(حنا فاخوري وجر)

* اسهم (الكندي) وهو راسخ القدم في علوم اللغة ، اسهاما كبيرا في تحديد الاصطلاحات الفلسفية الفنية التي لما تستقر بعد في عصره ٠(د ٠ عادل العوا) ٠



عقب انفجار عنيف اطاحني من زاوية الى زاوية ، ترجرجت . .. وتقيأت ذاكرتي .. لم يسعفني لساني المربوط سوى بالعواء .. وبعدها استغرقت في الذعر وانا انبض كرقاص الساعة ، واجتاحني كساحا اعمى ..

ندهت :

- يا امي ..

في الضيق ننده اول ما ننده امهاتنا والله والانبياء..

وهذه الحرب اقصت ارتعاشاتنا عن حنانها .. والمليشيات احتكرت الله وانبياءه وطوبتهم باسمها .

كان لا بد لي من صدى حنان .. او قداسة ، او حتى قشة نجت من طاحون الجنون لأتعلق بها ..

وابحر الى حواسي وذكرياتي مرة اخرى ..

أنا مشعثة وممزقة ومغبرة ومهروسة اللحم عند تضاريسي الناشئة .. وأذيالي ندية ..

ازيز الرصاص يشفط ذرات الهواء من حولي .. يفخخها ..ويفرقعها..

هدهدت عيني وأذني :

- يا عيني لا تتعبي من خرابك فأنت لا زلت مرآة دمعي ..اغتبطي بما تبغي لك من بريق قبل ان تطفئك سيجارة مهووس باطفاء العيون ..لتشهدي ..

ويا اذاني التي تشبه الغرامافون، موسقي انفجاراتك قبل ان تشفيك سكين مهووس بقطع الاذان ..لتحكي: نحن لا زلنا على قيد الحياة ..

بذلت جهدا للملمة ما تبعثر مني في زاوية آمنة تقع بين عضاضتين وأنا انحشر فيها بطولي وعرضي وارتعاشاتي ، تذكرت ان العضاضات في الماضي كانت تحمل البيوت وتحميها / (بيت جارتي آمنة في حي الصنايع شفطته قذيفة فراغية مع عضاضاته وسقوفه وجدرانه واثاثه وصخبه) ..

العضاضات فقدت متانتها في زمن الفراغيات ..

تجرحت كفاي وانا ابعد الزجاج والاسمنت عن مقعدي ، نفخت عليهما وفركتهما ببعضهما حتى اختفت اثار الدماء واسندت حالي الى العضاضة التي كانت ساخنة من مفعول البارود .

تعودت عقب كل انفجار عنيف ان اطأطيء رأسي وأدسه بين كتفي .. ثم استغرق في الذهول ، عندما أفيق منه أجد صعوبة في رفع رأسي الى فوق .. للتضرع ..

وهذا الانفجار الذي حدث كان اقواها جميعا :

في السقف فجوة سوداء كبيرة ، احدثتها قذيفة .. وحولها دخان محروق ، الفجوات السوداء في السماء لا زالت تلتهم النجوم ، كما كانت هناك فجوة اخرى في اعلى الجدار تجاهلتها عن عمد حتى لا ارى الصرصار الذي كان يزحف مذعورا اليها .. ويتخبط في الاتجاهات .

فأنا من شدة تعبي واحوالي لا استطيع ان اقارن حالي بحاله .. وذعري بذعره ، كما اني تجاهلت الهاتف الذي استيقظ مدويا في

داخلي والذي كان يؤكد لي قرابتي للصرصار ..
(وخلقنا الانسان في احسن تقويم)
وألف الف لعنة على داروين والغرب الذي قربنا من الصراصير ..
التصقت بالعضاضة اكثر وانا اقلص قامتي المرتعشة واسخر من تلك النقطة السوداء المتراكضة الى السقف حيث توقفت في حذاء الفجوة ومدت لي قرني استشعارها مودعة قبل خروجها الى السطح ، مؤكدة لي بطريقة ما .. تعاطفها معي ..
– الى الجحيم ايها المخلوق اللزج.
لما غاب الصرصار عن ناظري شعرت بالوحشة ..
حسدت الصراصير لانها تستطيع ان تمشي على الحيطان وتتسلقها الى السقف رغم ادمانها على البلاليع والمجاري ..
أترقب ظهور الصرصار بفجيعة من جديد . تطلعيناي على زرقة السماء المموهة بالدخان ، الفجوة التي احدثتها القذيفة احتلت ثلثي مسافة السقف بعدما اكلت نصف الحائط .. وهروب الصرصار من فجوة السقف شدني الى السماء التي ما ارتددت عنها لانها غائمة . . وفيها دخان وقذائف .. الى المصباح الذي كان يتدلى سلكه في الفراغ ، الي ، متكئا على قضيب جديد عار.
فرحت بالمصباح لأنه مثلي لا يزال على قيد الحياة ، معلق في مكانه يتأرجح ويرتعش في القذائف . . ينطفىء حينا ويضيء احيانا ،وتدور حوله الفراشات في الليل وتخر صريعة العشق .
القذيفة أخطأتني والمصباح ..
تذكرت شيئا هاما وهتفت مثل نيوتن :
ذاكرة العشق مرتبطة بذاكرة الضوء

وبئسا للقذائف العمياء في مسارها الجهنمي الذي لا يميز بين السقوف والجدران والصراصير والناس والمصابيح .
وأظل محشورة في زاويتي اعانق العضاضتين .. واهرول بأنفاسي الى الكون الغارق في سبات الفقر والمخدرات والايدز ..

– ٣ –

زمن الحرب بلا نهاية ..
والعمر محصور بين طلقة وشهقة . .
المدينة التي كانت تمنحنا الحياة كلها والضجر كله .. باتت تسرقها منا بطرفة عين ..
ارم عيني .. ولا اطرفها ، اسدد سهامها الى السماء وانا أجمع ذكرياتي من قافلة الرحيل والسفر لأستمتع باللون الازرق الذي نسيت طعمه وملمسه .. كان لا بد لي من شد رقبتي الى فوق لأغرف الزرقة من حجب الدخان والازيز ، لما فعلت ذلك ، ارتفع انفي تلقائيا وتبعته ذقني .. نهض صدري قليلا في انكساره ..وتدغدغت .. ومتاريس الخطف وبوابات الرحيل . . وسافرت الي .. داعبت خاصرتي الضامرتين .. ونقرت حلمتي اليابستين ..
كان لدغدغة الاصابع المشتاقة طعم التفاح والسكر .
أتذكر من زرع اصابعه في عناق جرحي .. هذا الاحد غيبت الحرب طلته وطله عني .. ولا زال حاضرا في ذاكرة الجسد ..
في ذكرياتي السحيقة وقرابين بعل السخية ، أريق دمي وأريق دمه وأنبت الزنابق والاقحوان وشقائق النعمان ، بدلت جسدي الذي كان يعتق كل مرة من الطهارة بجسد جديد .. وكان يعتق وابدله . .

البوذيون يقولون ان الموت يهب الحياة معنى .. والوانا ..
يطل جسدي في انفلاشه ، تتفتح حبيبات العرق كالدموع على مسامه ويصر انه، تقمص الماء والشجرة والعصفور والطفل .. ويدعي ان الله يحبه كثيرا .. وفي الاتي سيصنع له جناحين من امواج البحر .
أنبش حبيبي من مسامي لتدغدغ ذكراه ذكرياتي وسمرة عنقي واخضرار عيني وزرقة السماء ..
(تحديد المسرات بمسارات الدمع .. يطمسه العطش والجوع وشبح الموت في زمن الحرب الاهلية) ..
قبل لحظات .. ايام .. شهور.. . سنوات .. سمعت انفجارا شديدا طأطأني ، تدلى رأسي الممشوق بصواري سفن الارجوان، الى كتفي كما يتدلى رأس مشنوق من حبل المشنقة ، تكررت المرات التي كنت اهبط برأسي منها .. حتى تقوست تجويفا أشبه بمعارة اختبيء فيها عقب كل دوي .. استمرار الحرب قولبني مغارة ادمس فيها لحمي المرتعش كالسلحفاة .. وانا لا احب السلاحف لانها لا تهب الحياة معنى ولا تستطيع عناق من تحب بمسامها .
قبل عشر سنوات كان لي حبيب آحبني وأحببته كثيرا قبل ان يودع جسده ويلفني به ويفترش زرقة الكون وسمرة الارض . تركني ارفو ثقوب قلبي لوحدي .. وليس عندي ابرة ومغزل وشرانق وخيوط حرير ..
قبل هذه الحرب كان رأسي محمولا على زرافة ، وكان حبيبي يستغرق عشقا وهو يزرع شفتيه في اكتناز مساحاته المشدودة . وهذا المتدلي على كتفي الان كجراب متسول .. والمثقل بذل اللحظة . العشرة .. العشرين .. الاربعين .. الستين السبعين .. الالفين .. مر بغابات المشانق وشفاه المقاصل ومرارات الانكسارات وعلقم الهزائم..
تناسخ اعدامه رقابا متهدلة ومشدودة خرجت السنتها من مكامن همسها الخائف الى لهيب الحرائق والحقائق ..
سحبت من عبي جريدة ، اصفرت من لهاث صدري وتقادم عرقي عليها كانت مكسرة ومهلهلة عند طياتها ، فرشتها امامي تاريخا معمدا بالدم انغرست عناوينها السوداء كمناقير الغربان في عيني
(السبت الاسود الدامي الذي نحر فيه الموظفون كالخراف عالهوية)
اقشعر خوفي .. وماتت دغدغة الاصابع ..
آعادتني الجريدة مع رأسي وحواسي الى تحت :
- لماذا .. ؟
- الى متى .. ؟
كانت علامات الاستفهام تشبه المناجل
.. وبعدها صعب علي استعادة طعم الدغدغة ..
انها الحرب الاهلية .
وانا انتصار تزوجت عدنان في عام الحرب .
والاصابع المشتاقة لا تجتاز عتبات الذبح ومتاريس الخطف وبوابات الرحيل .. لتسافر وحدها الى الجسد المفخخ عناقه بالموت ..
والعصافير يا انتصار معرضة للجندلة في الدخان وحرقة الاشجار وتسيب الكوى التي كانت تضم اعشاشها وتحميها ، برودة الزناد افقدت الاصابع الباقية تلك الرعشة التي كانت تجتاحها عند . هبوب كوامن الحنين والذكريات والعناق في العلالي الانعتاق وعلى الارض دمار يا انتصار ..
لا ..
اضيع في متاهات الحرب ، ولا استطع

ان اميز طريقي ، تعبت من الملاجيء
وبرودة العضاضات ومشح المياه
والرغيف ..
في العلالي الانعتاق ..
أحمل يأسي على اهدابي اليابسة
الى فوق ..
أكاد ان امزق حدقتي وغشاوة عيني،
ابحث عن شيء ضائع لم افقد
الثقة بعد في العثور عليه ..
والسماء تبدو من الفجوة وسبيل
الدخان ودموعي بعيدة ، بعيدة ،
عن مدى الصراخ واستراحة النظر
ومرارة التضرعات ، وشظايا
القذيفة انفلشت مع اسمنت السقف
كالزوبعة ، شققت الحيطان ،قشرت
طلائها الماسي ، كسرت المزهريات
والمرايا واللوحات وصور الذكريات
واقفاص العصافير واصص الورود ..
مزقت مفارش الكنبات واغطية
الاسرة .. بترت العناق والهمس ،
ولم تترك فسحة لقدم تحطو اوزائر
يجلس او حلم يغفو دون ان يتجرح.
يا رب ..
يرتد صوتي الى حشرجتي محملا
بالشظايا
ضيقة المسافات في الحرب .. محصورة
الامكنة .. والجسد اوسع من الفراغ
المخصص له .. واكبر من وطن
القبيلة والعشيرة والطائفة ..
مرة اخرى اتغبش من السماء
البعيدة ، اطوي الجريدة واعيدها
الى عبي لان اسم عدنان وصورته

فيها . أبصق سائلا اصفر يحرق
معدتي الفارغة .. وتنداح امواج
الحرب مثل الطوفان ، تخترق
الجهات الاربع ، وتخلص صمامات
قلبي ..
أتشبث بالعضاضة .. واصر على
قرابتي للبحر
كنت خائفة ولا اريد ان اموت .

اجتزت ثلاثين حريقا ومليون موت
وخبأت دغدغة الفصول في ذاكرة
الجسد ، واجلت مواسمي .. دورتي
الدموية من دورة الكون وسنون الحرب
فاقت العشر والقذيفة خرقت
الجدار والسقف واخطأتني مع
المصباح ، والارض لا زالت تدور ..
تدور يا انتصار .. وجسدك الذي
اجتاز ثلاثين حريقا ومليون موت
اكتسب صلابة المعابد وقدسيتها
وعبق بخورها وخلودها ، وهو يحن
كثيرا للاسترخاء ، والشبع والنوم
ليستعيد اكتنازه وطعم الاصابع
التي قبلته ، بعد لحظات .. او
غدا .. او بعد غد .. او في غد
.. الغد . تخف حدة القصف ،
ويتراجع الموت ..
حينها تخرجين الى البحر مع
الناس ، تعود المدينة اليك ..
والبحر .. تسبحين في رحابته
وعندما تتعبين من المرح تستلقين
على الرمال وكفك يضم محارة
ساقتها موج الجنوب اليك ..
تغلفين اذنك بها وهي تغني لك
اساطير الصيادين ومزارعي التبغ ،
والليمون ، تؤكد لك نسبك
الى الماء والشجرة والعصفور
والبحر والصواري ..
اخفض بصري الى تحت ، احملق في
خراب محارتي..
لا بأس ان عاد صدري الى انكساره
المعهود ..
آسحب الهاتف المكوم على الارض ،
انفخ الغبار عنه ، ارفع السماعة
الى اذني ، السماعة توشوشني ..
واذني مسدودة بالصلاخ والانفجار
والاساطير ، والاسلاك المنصوبة
للتواصل بين الناس ، تتعطل
وتتشوش في القصف .. اهتف الى
الله وادير في القرص ثلاثين صفرا
وانتظر الجواب.

طبعات رسالة الغفران

بقلم : الياس سعد غالي

لقد اتيحت لي فرصة للبحث في أمر طبعات رسالة الغفران ، وذلك على اثر مطالعتي الاخيرة للجزء الثالث من " منهل الوراد في علم الانتقاد للاديب الحلبي قسطاكي الحمصي ، اذ لفت انتباهي ما جاء في الفصل الاخير منه الذي خصصه للموازنة بين " الالعوبة الالهية " لدانتي ورسالة الغفران لابي العلاء المعري حيث قال :
" كنا منذ ثلاثين سنة خلت اول من نبه - فيما نظن - على اقتباس دانتي الشاعر المشهور العوبته الالهية من رسالة الغفران وذلك عندما وقعت الينا هذه الرسالة اي قبل ان تطبع الطبعة الاولى ".
وحاولت التثبت من ذلك التنبيه ومعرفة كنهه وتاريخه ومحل نشره بقصد تسجيل سبق أدبي لقسطاكي الحمصي ، اذ يكون اول من نبه الى اقتباس دانتي من رسالة الغفران قبل " اسين بلاسيوس وقبل " ابي شنب " (١)، فلم نوفق ورأينا من المناسب طرح هذه القضية في المجلة الحلبية الواسعة الانتشار " الضاد " عسى ان يهدينا الى ما هدفنا اليه وعجزنا عن تحقيقه أحد العارفين المعجبين بأدب قسطاكي الحمصي بعد ان وجدنا نفسنا في متاهة " تعمى بها الخبر " كما قال الحطيئة ، فلم يهدنا هاد .
نشر قسطاكي الحمصي موازنته بين " الالعوبة الالهية ورسالة الغفران " اولا مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٧م وهي خلو من التمهيد الذي صدر به بحثه في الفصل الاخير من الجزء الثالث من منهل الوارد واشار فيه الى تنبيهه المذكور واضاف:

"انه كان ما زال يتحين الفرص للقيام بهذه الموازنة حتى وفق الله الوصول الى هذه الامنية منذ احدى عشر سنة " ، ولعله قصد زمن اعداده هذا البحث قبل نشره في مجلة المجمع ، وهكذا قام بتلك الموازنة غير ان البحث المنشور عام ١٩٢٧ خلو من ذلك التنبيه ومن الاشارة اليه .

لقد ذكر الاستاذ قسطاكي ان " تنبيهه حصل منذ ثلاثين سنة" ولم يذكر بصورة واضحة متى واين. فكان علينا ان نستخلص بعض المعلومات من المصادر التي بين ايدينا ، وهي غير كافية طبعا ، فبذلنا من الجهد ما أمكننا وها نحن نواصل المحاولة على امل ان نصل الى نتيجة عن طريق المطلعين اكثر منا على الموضوع ونحن نعتقد اننا بذلك نخدم القضية والحقيقة

ان قسطاكي الحمصي نفسه اغفل الاشارة الى الزمان والمكان اللذين فيهما نشر ذلك التنبيه ولم يضع تاريخا لصدور الجزء الثالث من منهل الوراد ، غير ان الدكتور محمد آلتونجي بين في كتابه " قسطاكي الحمصي " في الصفحة ٤٩ : ان منهل الوارد في علم الانتقاد .. ألفه قسطاكي الحمصي في ثلاثة اجزاء وطبعه في مصر عام ١٩٠٧ثم ذكر في الصفحة ٥٨ من كتابه المذكور ان الجزء الثالث من منهل الوراد طبع في حلب عام ١٩٣٥ ، اي بعد نحو ثلاثين عاما من طبع الجزئين السابقين ، اما مجلة الحديث الحلبية فقد اشارت في عددها الثامن عام ١٩٣٥ص ٥٦٢ الى ان هذا الجزء الثالث سيصدر في منتصف الشهر القادم سبتمبر : ايلول .

ومن الرجوع الى الجزئين الاولين نجد ان المؤلف أرخ مقدمة الجزء الاول من منهل الوراد :"مصر في يوليو / تموز ١٩٠٦وارخ اهداء هذا الجزء " مصر في ١١ كانون الثاني / يناير ١٩٠٧ " مما يحمل على الاعتقاد انه كان في مصر في تلك الفترة ، وقد ثبت وجوده هناك الدكتور التونجي .(١) ، فيكون الحمصي قد نبه الى اقتباس دانتي قبل صدور الجزئين الاولين ولم يذكر محمد التونجي في كتابه ولا قسطاكي الحمصي في هذه الاجزاء الثلاثة متى واين نشر التنبيه المشار اليه .

ومما يبعث على الاعتقاد ان هذا التنبيه ، اذا صح ، كان قبل عام ١٩٠٥ اي قبل ثلاثين سنة من تاريخ صدور الجزء الثالث ولا سيما ان قسطاكي الحمصي نفسه يقول كان ذلك عندما وقعت اليه رسالة الغفران قبل ان تطبع الطبعة الاولى دون ان يحدد تاريخ الطبعة الاولى ولم ينوه بالنسخة التي وقعت اليه فخلق بذلك مشكلة جديدة تخبط فيها الادباء.

فبنت الشاطىء ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، في دراستها لنسخ رسالة الغفران المطبوعة أشارت في مقدمة رسالة الغفران التي حققتها (٤) الى ان " طبعة امين هندية ١٩٠٣ هي النسخة الوحيدة الكاملة المطبوعة وانها نقلت من نسخة تيمور ، كما قال الناشر ، اذن اول طبعة لرسالة الغفران هي طبعة امين هندية التي اشار اليها الحمصي ولم يسمها وقد ذكر في صفحتها الاولى انها الطبعة الاولى وان سنة صدورها كانت : ١٣٢١هـ =١٩٠٣. وهذان التاريخان

متوافقان تقويميا ، غير ان بنت الشاطىء قد نوهت بكلمة عبد الرحمن البرقوقي الملحقة بالرسالة ، طبعة امين هندية والتي جاء فيها :

" وطلب امين هندية الى الشيخ ابراهيم اليازجي ان يتولى تصحيحها - اثناء الطبع - فأجابه الى ملتمسه رغم تزاحم اشغاله وكثرة اعماله وان الشيخ اليازجي توفي في اثناء الطبع بعد اتمام سبع عشرة ملزمة فكلف امين هندية احد كبار العلماء ولم يذكراسمه - بتصحيح الباقي حتى انتهت الرسالة والحمد لله " . وقد ذكر الناشر في الصفحة الاولى ان هذه النسخة " نقلت عن نسختين من أصح النسخ . وقد اخذ برأي بنت الشاطىء كل من الدكتور عبد الامير الاصم وادوار البستاني وربما غيرهما ايضا ، فأشار الاول الى ان رسالة الغفران نشرت كاملة لاول مرة بعناية ابراهيم اليازجي القاهرة ١٣٢١ / ١٩٠٣ ،وقال الثاني " رسالة الغفران طبعت اول مرة بالقاهرة عام ١٩٠٣بعناية مكتبة أمين هندية التي كلفت ابراهيم اليازجي الوقوف على طبعها ، الا ان اليازجي توفي بعد اتمام سبع عشرة ملزمة "(٦)

كل ما في هذه الاقوال يدل على الطبعة الاولى ١٩٠٣ ، لكن كلمة عبد الرحمن البرقوقي الملحقة برسالة الغفران تدل على غير ذلك، اذ ان البرقوقي لا يمكنه ابدا ان يتنبأ عام ١٩٠٣ ، بوفاة ابراهيم اليازجي وقد اجمع مؤرخوه على انه توفي في المطرية احدى ضواحي القاهرة في ٢٨ كانون الاول ١٩٠٦ .

من الغريب جدا ان بنت الشاطىء التي اوردت كلام البرقوقي كما ذكرت وتبعها ادوار البستاني وعبد الامير الاصم لم يلحظوا التباين بين القول المستشهد به (طبعة هندية التي ظهرت عام ١٩٠٣) وكلمة البرقوقي في ختام الرسالة ان الشيخ ابراهيم اليازجي توفي قبل ان يتم العمل من جهة ، وتاريخ وفاة اليازجي عام ١٩٠٦ ،من جهة ثانية ، انهم لم يتحروا عن طبعة ثانية لطبعة آمين هندية قد تكون ظهرت بعد وفاة ابراهيم اليازجي والحقت بها كلمة البرقوقي ، وقد تكون هي التي اشار اليها قسطاكي الحمصي ، ولم يوفقوا بين القولين ولم يزيلوا هذا الغموض اوالتناقض الماثل للعيان ، و لا يمكن السكوت عنه

من الغريب جدا ايضا ذكر سنة الطبعة الاولى لرسالة الغفران ١٣٢١هـ / ١٩٠٣في الصفحة الاولى من طبعة هندية التي اشارت اليها بنت الشاطىء وقد تكون في الحقيقة الطبعة الثانية لكون كلمة البرقوقي وان كانت لا تحمل تاريخا الا بد من ان تكون كتبت حتما بعد وفاة اليازجي والحقت بالرسالة لأنها مطبوعة على ورق من جنس ورق الرسالة مع تسلسل ارقام الصفحات ٢٠٦ و ٢٠٧ . ان طبعة هندية الحاملة تاريخ الطبعة الاولى ١٣٢١/ ١٩٠٣ كان يعاد طبعها ، كما هي عام ١٩٠٦قبل وفاة اليازجي واضيفت في سنة ١٩٠٧كلمة البرقوقي الذي نوه فيها بوفاة اليازجي بعد وقوعها ، وهذه البلبلة قد تكون وفاة اليازجي سببها ام يحتمل وقوع خطأ مطبعي فنزل الرقم ٣ بدلا من ٧ ؟ ان هذا ايضا غير وارد ولا ممكن لتوافق

السنة الهجرية التي طبعت فيها الطبعة الاولى ١٣٢١ هـ مع السنة الميلادية ١٩٠٣ في حين ان السنة الميلادية ١٩٠٧توافق السنة ١٣٢٥هجرية ٠

وقد اكتشف العلامة الاب فائز فريجات في مكتبة بطريركية الروم الارثوذكس بدمشق نسخة من رسالة الغفران لم يشر اليها احد من الباحثين الذين اطلعنا على بحوثهم ، فهي مطبوعة بمصر لكنها لا تحمل تاريخ طبعها ، غير ان ما ذكره الناشر " مكتب عزللتوريدات" على صفحة الغلاف وعلى الصفحة الداخلية ان ابراهيم اليازجي صححها ووقف على طبعها لما يدل على ان المكتب المذكور اقتنص طبعة امين هندية وافاد من اسم اليازجي ترويجا لبضاعته ، من المؤسف ان نلاحظ ان الناشر المذكور قد حذف في الصفحة ٢١٢من كلمة البرقوقي - طبعة هندية - المقطعين اللذين يتحدثان عن عمل أمين هندية والثناء عليه وعن تكليفه اليازجي بتصحيح الرسالة وأضاف ص ٢١١ الى كلمة البرقوقي قوله هو : " ولرسالة الغفران، في عصرنا مزية توجب الثناء على مكتب عز للتوريدات الذي قام بنشرها وهيحاجتنا الضرورية "، وهكذا اتسعت الصفحة ٢١٢ للفقرة الاخيرة الموجودة في الصفحة ٢١٣، من طبعة هندية ، وقد حدد عيسى المعلوف ب / ٢١٣ عدد صفحات رسالة الغفران التي طبعت بمصر مصححة بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي ٠

اما الدكتور مصطفى صالح فقد ذكر ان طبعة امين هندية صدرت عام ١٩٠٢بدلا من عام ١٩٠٣ وهذا خطأ مطبعي لانه صحح هذا الخطأ في الصفحة ٣٠١ واشار ايضا الى طبعة ثانية لطبعة هندية ، صدرت عام ١٩٠٧وأشار ايضا الى ان جرجي زيدان نشر موجزا لرسالة الغفران فيمجلة الهلال السنة ١٥ عدد ٥ ص ص ٢٧٩ القاهرة الصادر ١٩٠٧/٢/١ ،ونشر كامل كيلاني رأيا للهلال جاء فيه ان رسالة الغفران لم تطبع بعد وان نسخا منها موجودة في بعض مكاتب اوروبا وفي المكتبة الخديوية (٧)

اما جرجي زيدان نفسه فقد ذكر في كتابه (٨) ان رسالة الغفران طبعت بمصر عام ١٩٠٦ ولم يوضح اي طبعة اعتمد ٠ ولا يمكن ان يكون اشارالى طبعة ظهرت عام ١٩٠٦ لم يشر اليها احد من المؤرخين - في حدود علمنا - الا اذا كانت طبعة امين هندية الاولى التي كان يعاد طبعها عام ١٩٠٦ولم تظهر الاعام ١٩٠٧مع الابقاء علي انها الطبعة الاولى دون ان يعدل تاريخ هذه الطبعة بعد وفاة اليازجيوالحقت بها كلمة البرقوقي ما دام ان البرقوقي ذكر في كلمته ان اليازجي توفي قبل اتمام العمل ، والشيخ ابراهيم اليازجي مات قبل ثلاثة ايام فقط من نهاية عام ١٩٠٦، اي في ١٩٠٦/١٢/٢٨ (٩) ٠

وذكر الاستاذ عيسى المعلوف في مقال له نشر في مجلة الضاد الحلبية (١٠) ان رسالة الغفران طبعت في مصر مصححة (كلها او بعضها) بقلم العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي سنة ١٩٠٧في ٢١٣ صفحة ، مما يبعث على الاعتقاد ان طبعة امين هندية اعيد طبعها والحقت بهاكلمة البرقوقي ونشرت عام ١٩٠٧ ٠ وجاء في تاريخ الفلسفة العربية لصليبا ان رسالة الغفران

نشرت في القاهرة لاول مرة سنة ١٩٠٧(١١) دون زيادة ، وذكر في كتاب احمد تيمور باشا ان رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧(١٢) ونص معجم المطبوعات ليوسف سركيس (١٣) ان الشيخ ابراهيم اليازجي وقف على طبع نصف رسالة الغفران وصحح باقيها احد علماء الازهر - مطبعة هندية ١٩٠٧/ ١٣٢٥هـ .

لقد ثبت مماتقدم ان قسطاكي الحمصي نبه قبل ثلاثين سنة من صدور الجزء الثالث من منهل الوراد (١٩٣٥) الى اقتباس دانتي من رسالة الغفران وكان ذلك قبل طبعة الغفران الاولى حسب قوله ، والارجح عندنا قبل طبعتها الثانية التي كان صديقه الشيخ ابراهيم اليازجي واقفا على تصحيحها لما وفد الحمصي الى مصر عام ١٩٠٦، مما يقرب من التاريخ الذي حدده ، قبل ثلاثين سنة . ومع ذلكمازلنا نجهل كنه ذلك التنبيه واين نشر ولا سيما ان لقسطاكي الحمصي مجموعة مقالات ومحاضرات لم تجمع في كتاب حتى الان (١٤) ، فعسى ان يفيدنا احد المطلعين ما نرغب كثيرا في معرفته ، فالموضوع هام ليس فقط بالنسبة الينا بل بالنسبة للقضية والحقيقة .

وتتمة للفائدة واعطاء الموضوع حقه من البحث نورد ما قالته بنت الشاطىء في المقال الذي ظهر في العدد المؤرخ ١٩٦٧/١/٢٧من جريدة الاهرام ، وما جد بهذا الخصوص ، لقد اشارت الدكتورة عائشة عبد الرحمن الى ان رسالة الغفران التي حققتها طبعت اول مرة سنة ١٩٥٠،وان طبعة ثانية لها ظهرت بالذخائر عام ١٩٥٧ ، وثالثة عام ١٩٦٠،وتشكت بنت الشاطىء واتهمت في مقالها المذكور ، دار صادر ودار بيروت، اللبنانيتين بانهما اشتركتا ، بعد صدور الطبعة الثالثة ، في نشر طبعتهما الثالثة بالذخائر وقد اسقط الناشرون اسم المحققة اسقاطا تاما ، دون ان يجرؤوا على انتحال اسم محقق لها يضعونه مكان اسمها وعلى ادعاء نقل الرسالة من مخطوط لها او مطبوع . وقد نوهت بنت الشاطىء في مقدمة كتابها (١٥)، بأن نص رسالة الغفران الذي حققته نشر في خمس طبعات للذخائر ما بين سنتي ١٩٥٠و ١٩٧٠،فضلا عن طبعتين مزورتين ظهرتا في بيروت (دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٦٤) ثم دار احياء التراث العربي ،بيروت سنة ١٩٦٨.

ونشر الاستاذ محمد عزت نصر الله (المكتبة الثقافية - بيروت) طبعة جديدة لرسالة الغفران ادعى انه حققها وشرحها في ٣٠٦ صفحات بما فيها مقدمتها المؤرخة ـ ٢٥ حزيران ١٩٦٨ من صفحة ٤ - ٢١ وانه اعتمد على مخطوطة حديثة هي طبق الاصل عن مخطوطة " كوبريلي زاده " اعاره اياها صاحبها السيد " سي زابح ابو رباط " وهي تختلف بعض الشيء عن طبعة الدكتورة بنت الشاطىء . وقداشار الى ان الطبعة الرابعة التي نشرتها بنت الشاطىء قد افادته كثيرا وسهلت عليه فهم بعض ما جاء في مخطوط كوبريلي زاده ، والى ورود بعض أخطاء طفيفة في شرح بنت الشاطىء قام بتصحيحها في اثناء شرحه لغريب الغفران ، وانه لم يتعرض للإعلام بالترجمة والتحقيق او الذكر .

ولم يغفل الاستاذ نصر الله الاشارة الى ان المعري لم يسبقه احد الى مثل موضوع رسالة الغفران فكانت مصدرا لما كتب ادباء الشرق والغرب من القصص الخيالية الممتعة ..

ولا بد من الاشارة ايضا الى ان الدكتور على شلق نشر في دار القلم ببيروت طبعة لرسالة الغفران شرحها هو وحققها وفهرسها وقدم لها في ٣١٩ صفحة . مقدمتها مؤرخة في ١٩٧٥/٥/٩ . وقد ذكر الدكتور شلق في كتابه " ابو العلاء المعري " ١٩٨١ في قائمة كتب ابي العلاء المعري رسالة الغفران المنشورة في القاهرة سنة ١٩٠٣ و١٩٢٥ و١٩٥٠

وتجدر الاشارة ايضا الى طبعة دار بيروت للطباعة والنشر التي ظهرت عام ١٩٨٠ والى طبعة مكتب عز للتوريدات القاهرة التي لا تحمل تاريخا الا انها تلت دون شك ، طبعة امين هندية الثانية ١٩٠٧ بعد وفاة اليازجي . والى طبعة جديدة لا تحمل تاريخا حققها اسماعيل يوسف ، دار كرم ، دمشق، وقد ذكر في فهرس مصادره رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطيء .

ونوهت مجلة اخبار التراث العربي ، معهد المخطوطات العربية في العدد ١٧/ ١٩٨٥ ص ٢٧ بظهور رسالة الغفران لابي العلاء تحقيق المستشرق فنسان مونتاي تقديم ايتامبل ، باريس ، منظمة اليونسكو سلسلة معرفة الشرق ١٩٨٤ . وذكرت ايضا في عددها ١٨/ ١٩٨٥ ص ٣٤ خبر نشر ترجمة رسالة الغفران لأبي العلاء (بالفرنسية) للمستشرق فينسان مونتيه ، باريس ، دار عاليمار، بالتعاون مع منظمة اليونسكو الدولية ١٩٨٥ .

وهذه قائمة طبعات رسالة الغفران :

---

١ ـ طبعة امين هندية كاملة ١٩٠٣
٢ " " " ١٩٠٧
٣ طبعة كامل كيلاني الاولى (ناقصة) ١٩٢٣
٤ " " " ١٩٢٥
٥ طبعة بنت الشاطىء الاولى ١٩٥٠
٦ " " الثانية ١٩٥٧
٧ " " الثالثة ١٩٦٠
٨ " " الخمس الاولى ١٩٥٠ـ ١٩٧٠
٩ طبعات مزورة : دار صادر ودار بيروت ١٩٦٤
١٠ طبعة مزورة : دار احياء التراث العربي ،بيروت ١٩٦٨
١١ طبعة محمد عزت نصر الله المكتبة الثقافية ، بيروت ١٩٦٨
١٢ طبعة د . علي شلق ، دار القلم بيروت ١٩٧٥
١٣ طبعة دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٠
١٤ طبعة مكتب عز للتوريدات القاهرة بلا تاريخ بعد طبعة هندية الثانية
١٥ طبعة اسماعيل يوسف ، دار كرم دمشق ، بلا تاريخ .

وفي ختام هذا البحث نرجو من كل من لديه علم باكثر مما ذكرنا لان يتفضل باعلان ذلك لاكمال قائمة طبعات رسالة الغفران على اكمل وجه ممكن .

الهوامش :

١- محمد بن العربي بن محمد ابي شنب (١٨٦٩- ١٩٢٩) تركي الاصل، عربي المنبت واللسان، استاذ العربية في كلية الجزائر ، كان عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق له بالفرنسية كتاب فيما أخذه دانتي من الاصول الاسلامية في كتابه " ديفينا كوميديا " (خير الدين الزركلي : معجم الاعلام ج ٧ ص ١٤٨) و (كرد علي : المعاصرون ص ٣٣٨)

٢ - د . محمد التونجي : قسطاكي الحمصي ص ٢٥ و ٣٥ و ٥٨: ذهب عام ١٩٠٦ الى الاسكندرية .. وكان الشيخ ابراهيم اليازجي ينتظره في محطة القطار مع جماعة من الاصحاب ، كما جاء في كتاب ادباء حلب للحمصي (٢) . وقد ظل في مصر الى اول صيف ١٩٠٦ . وفي خريف تلك السنة عاد الى مصر وباشر طبع " منهل الوراد "واصيب بفقد صديقه الشيخ ابراهيم اليازجي فأبنه على ضريحه وعاد سنة ١٩٠٧ الى الوطن بعد ان اكمل طبع كتابه .

٣- قسطاكي الحمصي : ادباء حلب في القرن التاسع عشر ص ٢٤٩و٢٥٠، طبع المؤلف سنة ١٩٢٥ مئتي نسخة من هذا الكتاب ووزعته مجلة الكلمة هدية الى مشتركيها عن سنتي ١٩٦٨ و ١٩٦٩.

٤ - بنت الشاطئ : رسالة الغفران ط ٢ / ١٩٥٧ص ١٠٧و ١٠٩

٥ - عبد الامير الاعسم : تاريخ ابن الريوندي الملحد ص ١٠٨ الحاشية

٦ - ادوار البستاني : ابو العلاء المعري ص ٥٣/ ١٩٧٠

٧ - مصطفى صالح : كشاف مصادر دراسة ابي العلاء ص ١٥٨ و ٢٨٤ ، و ٣٠١

كامل البستاني : رسالة الغفران ط ٢ ج ٣ ص ٩١ - ٦

٨ - جرجي زيدان : تاريخ الاداب العربية ج ٢ ص ٢٦٢ ط سنة ١٩١٢

٩ - فؤاد افرام البستاني : ابراهيم اليازجي - الروائع ٤٢ - ص ٧٣

ميخائيل صوايا : اعلام الفكر العربي ، ابراهيم اليازجي ص ٢١،

- جرجي زيدان : مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٤٧

- ابراهيم اليازجي : مقدمة ديوانه " العقد " منقولة عن مجلة الهلال سنة ١٩٠٧/١٥

- خير الدين الزركلي : معجم الاعلام ج ١ص ٧٢

١٠ - مجلة الضاد : العددان ٥ و٦ ايار وحزيران ١٩٤٤ص ١٣٣و ١٣٤

١١- جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ص ٢٨٨ ط ١/ ١٩٧٠و ط ٢ / ١٩٧٣

١٢- احمد تيمور باشا : ابو العلاء المعري ص ٦٥/١٩٤٠

١٣- يوسف سركيس :معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٣٢٧ / ١٩٢٨

٤ - محمد التونجي : قسطاكي الحمصي ص ٤٩/ ١٩٦٩

١٥- بنت الشاطئ : جريدة الاهرام العدد المؤرخ ـ ١٩٦٧/١/٢٧ وكتابها " جديد في رسالة الغفران ط ١/ ١٩٧٢ص ٩ و ١٠- دار الكتاب العربي ، بيروت .

الاستاذ "دريد يحيى الخواجة" في كتابه الناقد "سوق النقد والأدب في القصيم"

بقلم: عبدالعليم صافي

— ١ —

تفضل الاستاذ " دريد يحيى الخواجة فأهداني ،مشكورا كتابه الناقد " سوق النقدوالادب في القصيم " .

ولقد كنت عرفت " دريدا " قاصا متميزا ، وما عرفته ناقدا متميزا أيضا، الا في كتابه هذا .

لقد سار مدرسون كثر ، من حمص ، الى مغرب الارض العربية ، والى مشرقها، " معارين " الى شقيقات لنا من البلاد العربية ، فلم أجد (على حد علمي) ، من عني ، بأدباء تلك الاقطار العربية ، في المغرب ، وفي السعودية ، الا "دريدا" وهذا ، بحدذاته ، ميزة لأديبنا " الخواجة " تذكر له ، فتشكر ، وتدل على حضور أدبي " جدير بالتوقف عنده " اذ يقفنا ، بنظرة ناقدة ، ونافذة ، على ما تنتجه أقلام تلك الاقطار حرمنا (أنا على الاقل) من الوقوف عليها . فأضافت الى المكتبة العربية ما هي بحاجة ماسة اليه .

— ٢ —

الكتاب الناقد " سوق الادب والنقد في القصيم " في مئة وخمس وثمانين صفحة من القطع الكبير جدا ، يضم مقدمة ترسم المنهج الذي سار عليه أديبنا ، وفيها تعريف جيد بأدباء (نادي القصيم) في (بريده) ، وعرض موفق ووجيز لعطاءاتهم ، وبحث وجيز أيضا عن الانماط الادبية الناشطة في القصيم ، وعن قصور بعض هذه الانماط "كالقصة والرواية " ، وسببه ، وهذه المقدمة الواعية ، انما هي سبيل ، الى فتح شهية القارئ " ان صح التعبير " الى قراءة هذا الكتاب ، بشغف ووعي ، ومتعة ، واجتزئ من هذه المقدمة ما يلي : ص ٩ " رحت أقرأ لهم ما كانت تمنعه عوامل .. أطلع عن قرب على المعطى الثقافي والابداعي ، في المملكة العربية السعودية بعامة ، وفي الاصدارات الخاصة بكتاب القصيم على وجه التحديد . يتحرك القلب متلهفا ، ويصعد فوق مفردات الحياة اليومية ، وقشور الزمن الباذخ الى الفئة التي تحمل عبء رسالة الكلمة " .

وفي آخر صفحة من الكتاب محتوى من ثلاثة فصول ، يحتوي كل فصل على ما يلي :

آ — في النقد :

١ — دراسة عن حاتم الطائي ، بين أصالة الشعر وأسطورة الكرم : لحسن فهد الهويمل .

٢ — النزعات الشعرية عند جماعة (أبوللو

لأحمد عبد الله اليحيى) .
ب - في النقد التاريخي
١ - كتاب " أبومسلم الخرساني " صاحب الدعوة العباسية بين الفكرة والمنهج ، لصالح بن سليمان الوشمي .
٢ - النقد التاريخي عند " عبد الله العثيمين " بين المصادر والتوثيق .
ج - في الشعر :
١ - شاعر من القصيم : دراسة في شعر محمد عبد الله الزامل .
٢ - دراسة عن ديوان " ترانيم الرمال " لعبد العزيز التقيدان
٣ - الشعر المطبوع بين حسن التأني وعدمه .
٤ - أبو الحروق في ديوان " شرارة الثأر " لابراهيم الدافع ، شاعر المعاناة ، من حنجرة العذاب ، واليأس المتسائل ، والكلمة المصادمة .

ثمانية من الكتب والدواوين (يعلم الله كم تبلغ صفحات كل منها) يكتب عنها كلها ناقدنا (الخواجة) ، بتركيز فيه بسط ، وتحليل فيه عناية ، ودراسة تتحمل مسؤولية ما تقول ،

وهذا بحق جهد تنوء به دفتا كتاب واحد ، وهذا بحق يدل على ما أعطيه ناقدنا من جلد ، وأناة ، وحسن استحضار

وفي جلدة الكتاب الاولى " عنوان الكتاب " وصورة معبرة عن القصيم ، أرض النخيل ، وفي جلدة الكتاب الاخيرة ، لمحة وجيزة عن أديبنا " الخواجة " ودراسته الثقافية ، ونتاجه الادبي ، الذي يدل على وجود متمكن .

وقبل صفحات المقدمة كلمة العاطفة النبيلة ، الاهداء " الى زوجه وولديه "

- ٣ -

" سوق النقد والادب في القصيم من مطبوعات " نادي القصيم الادبي " في بريدة " .

وأول ما يطالعني في هذا الكتاب الدسم ، بعد قراءته ، أمور منها :

١ - التوفيق الذي حالف أديبنا في اختيار عنوان الكتاب . مما يعمق في خلايا القارىء الجذور المضيئة لأسواقنا الأدبية في تاريخنا البعيد ، القريب .

٢ - انه ، يمنحنا ثقافة كنا نجهلها (أنا على الاقل) عن مركز عربي ، في العربية السعودية ، وعن أدباء وشعراء ومؤرخين ، فيه لبسوا ، وبكل تأكيد ، دون من تقرأ لهم في أقطار عربية أخرى ذات شهرة ، رسختها (الدعاوة) ، أو (الدعاية) .

٣ - ان النادي القصيم الادبي في بريدة ، نشاطا أدبيا وثقافيا متنوعا وعميقا ، " ماكانت لنا به معرفة " وانه ليس متقوقعا في (اديولوجية) معينة ، ولا في عنصرية معينة ، ولا في اقليمية ضيقة ، وعلى ذلك استطاع اديب عربي من سورية ، قد تكون له " اديولوجيته " الخاصة ، أن يحظى من هذا النادي ، بحضور ، وبتأليف وبطباعة على نفقة هذا النادي ، دون معوقات ، ولا ثبوتيات ، ولا جواز مرور ، من نوع خاص .

٤ - هذا الكتاب الناقد هو الاصدار الحادي عشر لمنشورات هذا النادي حتى سنة ١٩٨٣ ، ألا يدل هذا على ما يحق أن يفتخر به هذا النادي ، ويفاخر به نوادي في بلاد عربية أخر ، ربما كثر التطبيل والتزمير لها ، دون طحن يؤدي الى غذاء .

٥ - ان من تحدث عنهم ناقدنا (الخواجة) العربي ، السوري ، الحمصي ، من أدباء وشعراء ومؤرخين ، وعن نادي القصيم الادبي ، ذوو رئات الغة الصحة والحيوية مليئة بمولد الحموضة ، غير السيف ، من جعلتها تتقبل بروح علمي ومثالي ، قسوة شرط ناقدنا (الخواجة) ، بشكل يندر ان نجد مثله ، او أقل منه بكثير ، في بلد آخر ، أو في مركز ثقافي آخر ، ونحن هنا خير مثال على ما أقول .

٦ - ان ناقدنا (الفذ) وأقولها بصوت عال ، يبدو واسع الثقافة ، ومتنوعها ، متمكنا حقا ، من مقومات النقد ، واقفا بعمق ، على المدارس النقدية الحديثة ، قوي الجذور مع التراث العربي الاصيل ، فهو في نقده الادبي سابق ، كما هو في نقده التاريخي ، وأن تألق حقا في دراساته الشعرية .

- ٤ -

أما بعد :

فهل يمكنني أن أدرس " سوق الادب والنقد في القصيم " ، دراسة منتجة ، اللهم لا ، وذلك لأسباب منها :

١ - ان ليس بين يدي " أصول الكتب ، التي تناولها أديبنا الخواجة بالنقد والدراسة .

صحيح انه كان مقنعا حقا ، وموضوعيا ، الى حد بعيد ، وموثقا نقده ودراسته ، بنصوص كثيرة كان يردها بأرقام الصفحات الى محالها من تلك

الكتب ، في ايجابيات نقده وفي سلبياته ولكن ، ما يدريني في أنه قرأ " .. ولا تقربوا الصلاة " دون تمام الاية الكريمة وما يدريني في أنه أخذ من النصوص ما يؤيد نظرته النقدية والدراسية ، في ايجابيات ما ذهب اليه ، وفي سلبياته .

٢ - وعلى فرض أن آخذ في دراستي ما هو موجود ، فعلا ، في هذا السوق فقط ، فان ذلك محال ، والا أن يبلغ ما أكتبه صفحات الكتاب نفسه ، أو أكثر ، هل في هذا هروب ، قد يكون ، ولكن لا حيلة لي فيه ، فما العمل اذن ، العمل في :

١ - ان أوكد على منهجية ناقدنا الخواجة بمثال واحد على الاقل ، يؤخذ (كما اتفق) من الكتاب .
وليكن الفصل الثاني من السوق " كتاب " ابو مسلم الخراساني ، بين الفكرة والمنهج " . ففي هذه الدراسة ، تحليل تاريخي موفق من الاستاذ " الخواجة " يدل على دراسة واعية للتاريخ من جهة ، وعلى ما يجب أن تكون عليه دراسة التاريخ ، بعناوين تدل على منهجية ملزمة وملتزمة .

١ - العنوان و (تقييم دور ابي مسلم الخراساني)
٢ - خطة البحث .
٣ - المنهج والتراكم الروائي .
٤ - رأي الكاتب بين الآراء
٥ - آراء نافذة للوشمي .
٦ - تضخم جوانب من البحث .

ب - أو أورد مثالا من ايجابياته النقدية ومن سلبياته ولتكن من " دراسة عن كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حياته وفكره ففي دراسة هذا الكتاب يبدو التأني آخذا بمناحي هذه الدراسة ، منهجية ، وبيان ايجابيات ، والتصدي للسلبيات ، فهو يثني على منهج " الشك " لدى صاحب الكتاب ، ويبين مردوده الايجابي على خطة البحث ، ويشير الى نواقص هذه الخطة ، فيقول في ص ٨٨ مما يدل على سعة اطلاع دراسنا " الخواجة " على الموضوع برمته ، وذلك بعد أن يبسط خطة الكتاب " وأرى ان هذه الخطة ، ناقصة ، لأنها أهملت نتائج النقد التاريخي المبثوث في الوقائع الجزئية ، عبر الفصول ، ولم تركز

في خاتمة على فكرة اجمالية للبناء التاريخي الذي شيده الباحث ، والذي أراد ضبطه حجرة ، حجرة .. الخ "

ج - أن أقف وقفة جد خاطفة عند تألقه في دراسته الشعرية ، بمثال واحد أيضا ، وقد يكون متألقا في كل ماكتب ، ولكنني كمتذوق للشعر أحس هذا التألق

وأشعر به ، وليكن ذلك المثال من ص ١١٤ عندما يتحدث ناقدنا (الخواجة) عن سر الطبيعة ، سر الذات ، عند الشاعر (محمد عبد الله الزامل) فيقول "لعل أهم مايميز شعره ، هو تلك (الصوفية) في مستواها الروحاني ، وفي درجتها الفنية ، التي تمتزج في شعره ، وتسري في المفردات وأصواتها بهدوء دافئ ، ورقة وعذوبة ، معانقة المعاني التي تثير حوارا بين النفس ، وبين ما تقع عليه العين في الطبيعة . تمسح " التفكر على الكلمات ، في رفق ، وكآبة شفيقة ، وتشحنها بايقاع داخلي من طفحات الشعور الصادق المسكون بحب الله وآياته المنعكسة في مرآة الوجود : الطبيعة ، حتي لتستشف صراعا خانقا بين أمل ما ، ويأس ما في الحياة ، يتبدى في حلمه معينة ، يعاينها الشاعر وحده ، وكربا وهما ، وضيقا ، بما وصلت اليه الحياة من انقلاب وادبار في العلاقات الانسانية ، هذا الصراع يضيع صوته شيئا بعد شيء داخل احساس الطمأنينة القوي ، الذي يطغى على القلق نتيجة معاناة جفوة الدهر التي تعوضه عنها الطبيعة .

ولئلا أتهم بممالأة ناقدنا (الخواجة) ولئلا يبقى ما كتبته (تقريظا) فارغ المضمون ، فأنني اورد بعض ما وجدت في هذا السوق من سلبيات ، أو هنات ، لا تنقص من قيمة الكتاب لأنها سلبيات من وجهة نظر فردية هي وجهة نظري فقط ، ولأورد لك فيمايلي :
١ - القلم في يد ناقد صناع ، يقوم بعمله دون اساءة ولا تجريح ، فألفاظ ناقده ، لا تغني النص ، ولا تصل بنا الى دعم رأي ، لا موجب لها (في رأيي) ولست

أقر ناقدنا عليها ، وأرجو أن أكون مخطئا ، وكمثال في ص ٦٤ يقول " ناقدنا الخواجة " " فأنا بصدد اثارة نقطة معينة ، بداءة تتركز حول عنوانه التالي " أبو مسلم صاحب الدعوة العباسية ان تعريف ابي مسلم الخراساني بـ "صاحب الدعوة العباسية "بجانب للصواب وثقل على الشخصية ولا تحتمله ، فضلا على انه ايحاء فج بنتائج البحث التي لا تثبت ذلك ، ومحاولة مسبقة لفرض الآراء بالقوة على القارىء ، " ولن أزيد .

٢ ـ احساسي (وأرجو ان أكون مخطئا أيضا) بفوقية قلم ناقدنا (الخواجة) حين بسط آرائه في نقده ، وأنا أمقت القلم الفوقي ، ورحم الله (طه حسين) الذي يحس كل من قرأه في نقده ، وحتى القاسي منه ، أنه كان ناعم الاسلوب ، مهذب الالفاظ ، بعيدا كل البعد ، عن فوقية قلم ، او عنجهية كلم .

٣ ـ في ثنايا الدراسات النقدية يضيع القارىء في التفريق ، بين ما هو لصاحب النص ، وما هو لناقدنا (الخواجة) (وأرجو ان أكون مخطئا).

بقلم : عبد العليم صافي

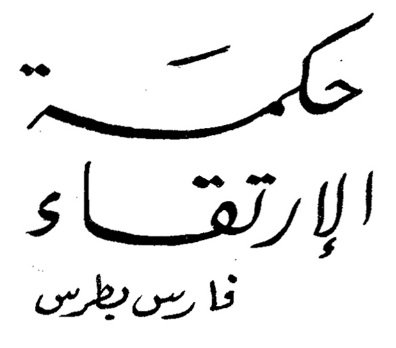
لأبي الشيص الخزاعي

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي ... متأخرٌ عنه ولا متقدمُ

أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذة ... حباً لذكركِ فليلمني اللوّمُ

أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبهمْ ... اذ كانَ حظي منكِ حظي منهمُ

وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغراً ... ما من يهونُ عليكِ ممنْ اكرمُ



حكمة الارتقاء في ذرة الاكوان وحشاءات جمادا ومرقد

ان تثور الحياة في طلب الارقى وان تنشد الجمال الابعد

فنراها في الطائر الهائم الشادي غناء - حرية - تتغرد

ونراها في الجدول الراكض الرقرا ق - لحنا للانعتاق المقيد

ونراها تحت الجبال براكينا ونارا في أسرها تتمرد

ونراها فوق البحار اعاصيرا غيوما حينا .. وحينا ترعد

ونرئاها بين المزارع امطارا - لتجري حينا .. وحينا تجمد

ونيراها في الشعب عقلا ووعيا وعلى سلم المكارم تصعد

ونراها في الجيش حزما وعزما والى سؤدد المعارك تمتد

ونراها في الشعب ثورة عز ونراها تطورا يتجدد

ونراها ثأرا وحقدا عنيدا في " طوابير " جيشنا تتوقد

سوف نمشي بوقفة العز يوما وعطاء الروح الشهيد الاجود

نحن شبه للكون في طلب الاسمى وشبه له بخلق الاصمد

يا فلسطين يا ابنة الشام يا ام المليون يعربي مشرد

قد غزتك الانذال من كل ارض ، وهجوم الإسطول انكى واحقد
وغزتك الاحقاد غدرا وجبنا من يهود وكل جيش تهود
انت إأم ; وعقك الملك الخائن جهرا - والارض ام تعبد
غير ان الزمان دار وراح العلم يبني نشئا جديدا امرد
هودا الشام والعراق وشعب النيل تفديك وبالنجيع طورد
من شباب وقادة تشبه الصاروخ عزما جيشا عنيدا أصيد
انت من ارضنا منابر امجاد - لماض لنا على العرب تشهد
انت اجسادنا التي عاشها الاجدا د في الانس ٠٠ والثرى الذي تتوسد

لأبي بكر عبد الله بقي

عاطيتهُ والليل يسحبُ ذيلهُ صهباءَ كالمسكِ العتيقِ لناشقِ
وضممتهُ ضمّ الكميّ لسيفهِ وذؤابتاهُ حمائلٌ في عاتقي
حتى إذا مالتْ به سِنة الكرى زحزحتهُ شيئاً وكأن معانقي
باعدتهُ عنْ أضلعٍ تشتاقهُ كيْ لا ينامَ على وسادٍ خافقِ

ما أحلى الرجوع .. إليه

محمد زهير الباشا

" مرح البقاعي : " الهروب اليه " ١٩٨٧"
منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق

الحب ادمان وأحزان ..

في مقطوعاتها الادبية ما يخدر وما يثير ، لعلها تدفع النفس الى الاغراق في التأويل عقب القراءة الاولى؛ (ووحده وجهك الاغريقي القسمات - يبقى ربي المعبود - وعلى حد خنجرك .. أحيا وأموت) .
فيتفقد المرء احساسه بالوجود ثم يرتد الى صفحات المقطوعات ليقرأ من جديد :
(شيء ماينهار ببطء خانق - كحلق ملحد صائم الا عن كفره) .
فهي تخطف من هواها نجما من دروب المجرة وقد اسقطت الزمن من حساباتها (الزمن والشر، الشيطاني) وصولا الى قطاف وجني لكن الاحلام كريمة في كل الادوار الهوى من لقاء هو المعجزة ، من انسلاخ هو الذبحة القاتلة .. الى انهيار يدفن ما مضى ، ثم القلق في هاوية السقوط والمياه الاسنة (الى شهقة موت آخرة - موت يحرره من عبوديته للعالم - ملغوم الوطء ..)
(فالعاشقان) في طوفان من عذاب مشترك .. لكنها تنفرد عنه في نداءاتها الملحاحة (مذاهبي غازيا وجودي بشراسة لذيذة لذيذة - كتوغل اصابع المحراث في جسد البيادر) ويمرح كرمها في كل حقل غناء وارجوحة ويوميات خلق الأرض قد كرست لحبها .. فسرت (بدائية الاحزان) ارتقاء ونسيت زلزال وهي تحتفظ بالرعشات التي تحدث عنها طويلا كولن ولسن في كتاب (الطاقة الخفية) .. فمن رعشاتها عزف الشوق اعتى صراخه ، وعلى موجاته زخرفت احلامها ، فهي تمثل العودة الى يقظة الحلم ، والنشوة في الخدر ، فعلى صدره قرأت ابجديات المارد المتيقظ في شرايينها وصرخت في كل وثبة صوت في فصول - اللبيدو - وقد نزفت منه (البرق والمطر وفي قارة العطش) فأعصابها لا تهدأ الا لتجمد - فصولها - على اوراق فهمه من بهجة صياد يضيع البحر ولا يضيع محارته ، وتعربدت ثورة اللبيدو، لترسم عرشا للنجوم وسفرا بلا وطن .. ومواقد في كل اعتصار والا (فرحلة جديدة في الهروب اليه) تحميها من ضياع وغربة ..

الموجعات في النشوة ..

كم مرة جمعت العذاب واللذة في فصل واحد ، تجابه من اجل هذا الاعصار وتفرش البحور ، فتفور الانفاس وتزعق الشرايين .. وتبحث عن ذاتها في حركة صاخبة في السموات لتضع ورقة زيتون على كهف حزين دون ان تثبط للشوق عزائمه .. فهو الذي يحترق ويحرق ، وعلى ينابيعه اثارة غنية (يا انت .. ايها الحبيب الغريب ليتك بقيت صدرا بلا نهدات ليتك بقيت غريبا) (فمن اعماق سكونه المحموم بالرعشات السرية ، بالاه المحروقة الحناجر .. تشرق الف الف استغاثة .. وانا صرخة ضالة .. اتقلب على جمره أفعى جريح .. يسلخ جلدي مرة .. لينبت مرات) وتصر في مقطوعاتها الادبية على تماوج عاطفتها بين اقصى النشوة الى اقصى العذاب و (فمن الحلق غصة) والا فكيف (تطهر ذاتها من خطيئة سقوطها في بئر افاعيه وتخليله).. هذا التماوج والتمازج ما ترك للمهادنة في الحب اي معنى .. فهي عمرية الهوى والذوب ملء جوانحها .. تطوي في نفسها اوجاعها (وتلملم بقاياه عن سريره الصدى لهذا تستطيب التحرك وقد استسلمت للالق الشيطاني في عينيه ، وتنطلق ولا تخشى انعدام الوزن فكلماتها المنداة تجعلها شررا متطايرا يجمعه غربال حاسد في زمن صاعق ..

خمرة من عهد نوح ..

تستمر مقطوعاتها الادبية لتمنح - الوجه الاغريقي - رتبة عشيق ولتضع على كتفيه رموز هذه الرتبة .. فهو فارسها في / عالم الوهم / وفي / الماضي العسير الهضم / وقد انقطعت الى فارس عشقها .. الاثير .. والذي غاص الى سر أديب اللاوعي في ومضات حب عنيف .. انه الحب ذو البعد الواحد .. ملامحه كشف عن مجهول ، ونفحاته اشعار بوجوده نبعا نميرا وخمرة من عهدنوح ترتدي وتحفظها علائم متميزة في كلمات منمقة تتشعب في صور الحب على يديها فيكون الف معنى ومعنى .. وهي المكابدة لهجران في داخلها .. وحالة العشق شبح تسربل في اعماق نفسها .. وقد حققت بهذا الوصول ابراز أغوار (القاهر المتمرس على النوم فوق بساط مسامير الانتظار). فظواهر الظمأ والسراب (تعاويذ .. تراتيل .. صلوات وبخور .. وأفاعي الشوق والحسرة) وأمام فارسها تبحث عن قامة السنديان ، تحلل تمرس يديه في (جزيرة الصحو) وتهرب بهمسات غضبها وانتظارها لترضى باعترافات ذات لهجة نزارية ترضي بها نزوات (النار المجنونة .. أحبك واغرق .. احبك واختنق .. احبك واموت ..) فهي تحيي مشاعرها وتحملها العبارة لذة الاشارة .

أفكارها في العشق مزامير والغاز ..

وأفكار هذه المقطوعات التي طرحت وفق منهج محطات الرجاء واليأس ، في لحظات السفر والصبر .. دون ان تأسرها المحطات بكل اعشابها او مستنقعاتها .. فالافكار - من عادتها - انها تتغير بتغير الظروف والبيئة والموقف ، لكن ظروف العشق واحدة .. والفارس الضائع في نفسها تبحث عنه اذا غاب وما غاب ، فواقع اللقاء لا يصوره وجيز العبارات ، وهي لا تسلو عما في الزمن من تأوهات كادت ان تنسيها - تطور المواقف وتبدل الافكار .. وظلت رهينة الكلمة المرهفة المستقاة من دوي الموج فحلقت في مقطوعة الوثن (وزحفت الى هيكل مرضاتك وبركتك) فمواد العشق .. فكرا والهاما من حضور (الهي يستمر الها لانه يمنح امطار النبيذ دون ان يطالب كروم الارض بالجزية ،) وكان من عبير انفاسه متمثلا في هذا الحدس المباشر - والحكم المحدد (الحبيب المحال : انت .. .. لنندثر معا .. وعلى مذهب العشاق العذريين : شوقا ، شهوة ، عطشا نموت ، هباء هباء نموت) فالمحال في عذرية الهوى وتضاعيف هذه المقطوعات الادبية .. فهو العشق ذو البعد الواحد - كما أسلفت - ليبقى غريبا ان غير دثاره ، ورمزي السطور ان استكان الى اسلوب الشعور والارادة .. ان افكار هذه المقطوعات انطلقت من الواقع .. من الذات .. من صدر كان يقذف (السنة اللهيب على كل الاوثان) لما فاحت (رائحة العفونة من زوايا غرفتي المعتمة) والتجأت الى الحلم والهروب من جديد .. (لانقاذها من ذبحة الوحدة واللاجدوى القاتلة (فجسمت كوكبها .. وجعلت فارسها عملاق هوى ولم تغادره ، ولم تبعده عن كوكبها .. فحلقت في مداره .. وحلقت طويلا .. ثم وجدت نفسها - مع افكارها - هاربة معلقة بجاذبية هي من صنع الهجر والمدار وحبل الوريد .. فكانت المغامرة بلاقفزات اوترنمات فكرية او تهافت (اشرقت عيناك .. شعلتين من نار ونور ..وبفرحة بهما مشروخة ، اموت فيهما واحيا) . وظلت افكارها ذات انفاس ارضية وزفرات من سراب سماوية ، واعاصير خماسية تهب معها اوراق التوت قبل ان تفطر وهي ترقب عودة امير الضياء ، فالهروب اليه هناءة و(جرعة من افيون حضورك - المعجزة) ففي عودته وهروبها والتجاء اعترافاتها (يوم كان بحثي عن عينيك ، اكتشافا وابحاري في عينيك مغامرة سندبادية) (وأشعر اني عارية عارية ، وحيدة وحيدة)

الحب مفاهيمه ومرتكزاته وصوره :

ارتكزت مفاهيم الحب في هذه المقطوعات الادبية على تجربة الحواس وتأملات الاحلام ولمعة من الحدس المبهم ، وراح قلبها يلقي نبرات عشقه على يراعها ، فارتاع الزمن لمن كانت تتفحص الاجفان على نغمات - نزارية - دامعة سائرة في الاحلام - موكبا اثر موكب (واستحضرك .. كما تستحضر الارواح - الهائمة في العالم الاخر) وهي تلقي (تراتيلها وتعاويذها وصلواتها) فكان ذلك الحب الذي يرى ليتعمق فأخصب العشق في غاباتها (يا شعلتهما أين رحل عن ضوئك وهج المسرة ؟ وتركت مواسم قطافها فريسة لهجمة الصقيع الاشيب المباغتة) .. والحب الذي يزمجر في ارتعاش فأحييت كل رؤاها (ثأري لعمري الجريح بك.. حبنا ذلك النسر الذي في

عليائه اغتلناه .. ويقدر الحب بأشواق حيث اضرمن النار في ثنايا اللهفة والحنين (في كل ليلة يأتلق فيها القمر .. وأنا المستسلمة لجرح المراسي الصدئة) ، وظل هذا الحب في تشنجاته وصهيل صوره (ولذة مضاجعة الامواج المخمورة) .. وصولا الى مرحلة الذوبان على بطاقة نسفت كتابتها بعصير النبيذ اذا هتف بعينيه كان الثمار والجنى والسماح بالتربع على عرش (الضبعة الجائعة تشهر حد ضراوتها .. وأنا عزلاء .. لا درع لي ولا صهوة)

ويزرع الحب قرنفلة الاحمر وتغرزه براية تخفق على ترداد انفاسه راقصة غجرية ، فمن كيفيه تحسو النبيذ وتعبه ويستوعبها الحب في مرتسماته ، الاشد اتساعا من روية مسافر الى اعشاب الصدر .. والعين والانامل .. (عاجزة عن التمدد في سريري .. دون ان ارتعد بردا ..ارتجف خوفا .. واتلوى جوعا) فهي (امرأة مجبولة من طين اللامدى .. وانا زجاجة عطر موقوته .. امقت يا سيدي ان اكون مجرد كرة للزينة) .

فلانها (امرأة مجبولة من طين الفجر) ويطول الحديث عن الحب ومفاهيمه .. فمخطوطاتها الادبية تتسم بهذا الغزل العمري - النزاري - فهي تستلقي على ايقاع الحب في شوق الفتنة والارتحال الى صدره وعينيه ويديه وخمرة تنبثق (رعشة التعري لنسمة الضبح اللاذعة وأشعر اني أود ان اهجع الى ظلال جفنيك)

وتتوالى صور هذا الحب - المنشود طورا .. الذاهل طورا ، الغائر الغاضب طورا .. ليكون من صورة للالم والتطهير في تقديس الهمس المذهب الذي لا ينام في ميدان احلامها فتلوح صورة الحب (.. النيلي الطليق) وتنحسر ثم تشتد (سافرة الشهوة عارية الحنين) فتتمازج هذه الصور بأسلوب فني جذاب .. متنوع النغمات وحيد المضمون .. فالتجربة الشعورية صاغت مقطوعاتها الادبية صورا متماثلة الاداء دون ان تفقد حيوية المحتوى (عبر المسالك الجبلية الموحلة) وهي تقذف الى المجهول (بثلاث رعشات) (وتلفني عيناك بازار الرغبة .. وتنطلق العصافير الحمر من غفوتها في اعشاش صدري).

أيها الشقي ..

الهجر قحط وانحباس .. وعلى بيدر الجوع قدح ينتظر رقة من جناح .. العمر لا يزينه الهجر ولا جوع البيادر.. فالبسمة زمن انحباس اليقظة العاطفية تفقد مبرر وجودها .. فتدور باحثة على قسمة للمروج بمغامرة هي الهروب والالتجاء .. والا .. فالهوى يرمي حجارته وينشب مخالبه ويصيب مفردات اللعنة والنقمة فما اعتادت ان تصبر على خيبة هي الهجر والقحط ..فترسل رياحها المجنونة (ككل الاخرين ايها الشقي .. لا الصبح جاء ولا النوم كان ولا عودة نرجس الى حضنك السخي .. أيها الشقي .. أيها الشقي .)

جذور ترابية :

من اجل عالمها الذاتي كتبت مقطوعاتها .. ومن اجل دفقات هذه المشاعر اللاهبة سطر يراعها ما كانت تسعى اليه وهي هاربة اليه .. يقلقها عالم الواقع .. ويأسرها الحب .. ثم تعود الى مرئيات الحياة .. فتزداد لهفة وحنينا الى لقاء فيه الالق الراقص والسحر المبدع .. واعتمدت على اللغة السمحة بجرسها ، خاصة بانتقال كلماتها الى منطقة الحلم في تزاوج حيوي متقد .. فامتلاكها القدرة اللغوية عما تود سرده فنيا جعلها تمسك وحدة المشاعر خلال تذكرها وهروبها ..

ان نفحات الجذور الترابية لحياة عاشتها في سعة وعمق لم تبعدها عن الالفاظ المجردة التي ارتاحت اليها وكأن الهروب اليه .. هو الهروب الى هذه الالفاظ المجردة من وقائع هذا الامتزاج الذي تذوقت فيه الحب طعاما ، وشرابا ، ونبيذ نوح فكانت تلقائية في تذوقها وفي القدرة على هذا العطاء من دنان ملأى بعفوية الخواطر فهي لا تكتفي بتجربة عابرة .. الا وتؤكد قدرتها وبصيرتها الفنية .. ويراعها يبحث عنه فهو ملاذها .. وعلى رياح مجنونة تفكر بالهروب اليه ...

محمد زهير الباشا

هكذا أعرف الحب

زياد البصري الجزائري

أنت يا سمراء يا من   لوحت خديك شمسي
وبدت عيناك لي اثر   الهوى في كل - كأس
يوم أسكرت فؤادي   بالمنى ودفنت بؤسي
هل فهمت الشاعر المدفون   في أعماق نفسي

ادخلي دنياي يوما   وانعمي فل كل روص
وأسري كل جناني   لا تكوني في بعضي
أنت ان ابقيت جزءا   بات في عيش ممض
يومها تفنى الاماني   بين اذعان ورفض

حدثيني يا فتاتي   ألهبي في وجودي
حدثيني عن هدوء البحر   عن سحر الورود
أطلقيني من خيالي   وأساطير الوعود
ربما أنسى جراحا   صرت عنها في شرود

واهجري قلبي وحيدا   ان رأيت الحب عطفا
أو عقودا او قيودا   جل - عن ذلك وصفا
أعرف الحب سيولا   تنسف الاعراف نسفا
وقلوبا ان تنائت   ضج فيها الشوق عصفا

ان تكوني في هواي اليوم   حيرى فاتركيني
ليس في الحب شكوك   بل يقين في يقين
فاصحبيني في رخائي   وشقائي او دعيني
واطلقي المأسور او خليه   في حلم دفين

لست من نور لأحيا   بأحاسيس ملاك
وأرى الايام تذوي   لتريني و أراك
وأنا و الشك نمسي   في جدال و عراك
أنت عندي اليوم ليلى   ان أكن قيس هواك

الأسس القانونية الناظمة لعلاقات الدول في مجال الأبحاث الفضائية

د. يوسف الجرماني

خطت سورية الحديثة خطوات حثيثة في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي مما جعلها مؤهلة لارتياد الفضاء الكوني.

لقد أصبح التعاون بين علماء مختلف الدول في مجالات البحث العلمي واجراء التجارب والاستكشاف احد الخصائص المميزة لتطور العلاقات الدولية في الربع الاخير من القرن العشرين ويتطور هذا التعاون باضطراد مستمر يوما بعد يوم. يشهد على ذلك تطور وتوسع وتعمق علاقات التعاون المثمر بين البلدين الصديقين - سورية العربية والاتحاد السوفييتي حتى اشتملت مجالات واسعة شتى بما فيها ارتياد الفضاء الكوني لاستكشاف مجاهله والاستفادة من خصائصه واستغلال موارده في مصلحة شعبي البلدين وخير الامة العربية والانسانية جمعاء.

ويسرنا بمناسبة دخول سورية العربية عصر الفضاء من بابه الرحب مع انطلاقة المركبة الفضائية السوفيتية التي نقل على متنها طاقما مشتركا من رواد الفضاء السوفييت والعرب السوريين أن نقدم للقارىء الكريم نبذة موجزة عن بعض مسائل التنظيم القانوني الدولي للعلاقات الناشئة بين مختلف الدول بصدد ابحاث استكشاف واستغلال وريادة الفضاء الكوني.

في الرابع من تشرين اول - اكتوبر عام ١٩٥٧ اطلق اول قمر صنعي الى مدار حول الارض والذي اخذ مباشرة بارسال معلومات علمية عن الفضاء الكوني. بدءا من هذا الفتح العلمي لم يعد الاتصال بالفضاء الخارجي مجرد تصورات ممكنة بل أصبح الخيال العلمي حقيقة علمية. وافتتح علم الفضاء عصرا جديدا في تاريخ البشرية، وأصبح مؤكدا للجميع بأن مصلحة البشرية تتطلب ان يكون ارتياد الفضاء واستكشافه واستغلاله موقوفا على الاغراض السلمية ولصالح جميع الشعوب كي لا يتحول الفضاء الخارجي الى حلبة جديدة للصدامات الدولية. لقد ترك رواد الفضاء الذين اول من هبط على سطح القمر لوحة كتب عليها: "لقد أتينا لغرض سلمي من اجل الانسانية جمعاء بكاملها" ان هذا الاعلان الرسمي ترك ارتياحا لدى جميع رواد الفضاء. ويقول رواد الفضاء بعد مشاهدتهم للارض من ذلك البعد الفضائي انها ياقوتة زرقاء منحصرة على خلفية الظلام الكوني وانهم يشعرون بالمسؤولية تجاه كل من هو على سطح الارض.

ولكي يكون عمل ونشاط الانسان في الفضاء الكوني سلميا وبغرض المصلحة العامة، لا بد من قواعد قانونية تنظم هذا العمل وتحكم سلوك الدول والافراد

في مجال استكشاف واستغلال الفضاء الكوني فالتنظيم القانوني للعلاقات الدولية الناشئة بصدد تعاون الدول في مجال أبحاث الفضاء الكوني يساعد على ارساء قاعدة صلبة لهذا التعاون . ولقد القيت هذه المهمة على عاتق منظمة الامم المتحدة ، وبدأ بالتشكل قانون الفضاء ، ان هذه التسمية لم تظهر مباشرة .
لقد قدمت عدة اقتراحات بأن يسمى هذا الفرع من القانون الدولي " بقانون الريادة الفضائية " ، او " قانون الريادة الاثيرية " ، او " قانون مابين الكواكب " ، او " قانون مابين النجوم " او القانون اللارضي " او " قانون الاملاك اللارضية " او "قانون الاقمار الصنعية " ، او " قانون الاجواء الخارجية وهلم جرا الى ان استقر الرأي على تسميته قانون الفضاء

يمكن تقسيم تاريخ نشوء قانون الفضاء الى مرحلتين ، ويعتبر تاريخ سريان مفعول المعاهدة التأسيسية حول مبادئ نشوء الدول في استكشاف واستغلال الفضاء الكوني بما فيه القمر والاجرام السماوية الاخرى (معاهدة الفضاء) الحد الفاصل بين هاتين المرحلتين .

واتصفت المرحلة الاولى باتخاذ الجمعية العمومية للامم المتحدة عدة توصيات في مجال التنظيم القانوني للابحاث الفضائية ، وأول وثيقة تتضمن المبادئ الاساسية التي تحكم أبحاث الفضاء للاغراض السلمية أقرت من قبل الجمعية العمومية للامم المتحدة بالاجماع في تاريخ ٢٠ كانون اول - ديسمبر عام ١٩٦١م . وتعود اهميتها في انها تؤكد على مبدأ خضوع الاول للقانون الدولي واسترشادها به في كل علاقاتها اينما ظهرت ، أكان ذلك على اليابسة او البحر او في الجو او في الفضاء . والخطوة الحاسمة التالية في تطور قانون الفضاء كانت عندما اقرت الجمعية العمومية للامم المتحدة بالاجماع ، في دورتها الثامنة عشرة ، في ١٩٦٣/١٢/١٣ م ، اعلان المبادئ القانونية لعمل ونشاط الدول في مجال ابحاث استكشاف واستغلال الفضاء الخارجي .

لقد تضمن الاعلان المبادئ الاساسية التالية :
- ينسحب القانون الدولي بما فيه ميثاق الامم المتحدة على الفضاء الكوني والاجرام السماوية الاخرى .
- يعتبر الفضاء الكوني والاجرام السماوية مفتوحة للبحث والاستشكاف والاستغلال من قبل جميع الدول ، ولا تعود ملكيتها لاية دولة على الاطلاق .
- يجب ان تنفذ اعمال الابحاث والاستكشاف والاستغلال في الفضاء الكوني بغرض تدعيم السلام والامن العالمي ، وبهدف تطوير التعاون وتعميق التفاهم بين الدول ، .
- تحتفظ الدول بحق سيادتها على ما اطلقته الى الفضاء الكوني من مركبات مع طواقمها وعلى التجهيزات والاقمار الصنعية وغيرها من المعدات المختلفة .

غير انه كان لهذا الاعلان صفة اختيارية ، ويجب ان يثبت في نص معاهدة دولية ملزمة ، واستمر العمل في هذا الاتجاه الى ان توج باتخاذ الجمعية العمومية للامم المتحدة في دورتها / ٢١ / توصيتها رقم / ٢٢٢٢ / تاريخ ١٩٦٦/١٢/١٩ م التي تتضمن مشروع معاهدة حول المبادئ الاساسية التي تنظم علاقات وعمل ونشاط الدول في مجال ابحاث استكشاف واستغلال الفضاء الكوني . وفي ٢٧ كانون ثاني - يناير عام ١٩٦٧ م عرضت المعاهدة ، بنفس الوقت ، في موسكو ولندن وواشنطن للتوقيع من قبل الدول اعضاء الامم المتحدة ، واكتسبت قوتها القانونية في ١٠ تشرين اول - اكتوبر عام ١٩٦٧م

لكن معاهدة الفضاء هذه لم تعكس سوى مبادئ وقواعد قانون الفضاء الاساسية والرئيسة ، فمع تطور العلم والتكنيك ، وتقدم الانسان في مجاهل الفضاء الكوني كان لا بد من تحديد وتوسيع بعض بنود ومواد هذه المعاهدة في اتفاقيات تتضمن القضايا الخاصة ، لقد نص اعلان مبادئ نشاط الدول في ابحاث استكشاف واستغلال الفضاء الكوني على : " ان الدول تنظر لرواد الفضاء على انهم رسل الانسانية الى الفضاء ، وتقدم لهم كل المساعدة في حال تعرضهم لاي حادث ، او في حال اضطرارهم للهبوط على ارض دولة أجنبية ، او في اعالي البحار " . اما المعاهدة حول ابحاث استكشاف واستغلال الفضاء الكوني بما فيه القمر والاجرام السماوية الاخرى فتتضمن الزاما للدول بتقديم العون

والمساعدة الفوريين في حال تعرض رواد الفضاء لحادث ، واعادتهم بأمان الى دولتهم ، وكذلك اعادة المعدات والاجهزة الهابطة على غير أرضها للدولة صاحبة الحق بها ٠

وفي ٢٥ /١٢ / ١٩٦٧ م اقرت الجمعية العمومية للامم المتحدة في دورتها / ٢٢ / اتفاقية حول انقاذ رواد الفضاء ، وعرضت الاتفاقية للتوقيع في ٢٢ / ٤ / ١٩٦٨م ، واكتسبت قوتها القانونية ٠ وفي ٣٠ آب - اغسطس ١٩٧٢ ، اكتسبت قوتها القانونية اتفاقية اخرى حول المسؤولية الدولية عن الاضرار التي تحدثها الاقمار الصنعية أو المركبات والمعدات والتجهيزات العائدة من الفضاء الكوني والساقطة على اراضي الدول الاخرى ٠ وفي الخامس عشر من ايلول - سبتمبر ١٩٧٦م اكتسبت القوة القانونية اتفاقية دولية حول تسجيل المعدات والمركبات والاقمار الصنعية المرسلة الى الفضاء الكوني ، كذلك اتخذت الجمعية العمومية للامم المتحدة فيدورتها السابعة والثلاثين توصيتها رقم ٣٧/٩٢/ تاريخ ١٩٨٢/١٢/١٠ م التي تتضمن الاسس القانونية الناظمة لاستعمال الدول للاقمار الصنعية التي تدور حول الارض في البث التلفزيوني المباشر ٠

نتيجة لتزايد الابحاث حول القمر واجراء التجارب واخذ العينات من على سطحه تطلب الامر عقد اتفاقية خاصة بالقمر ، وتم ذلك في اطار الامم المتحدة ايضا ، واكتسبت الاتفاقية حول نشاط الدول على سطح القمر والاجرام السماوية الاخرى (اتفاقية القمر) قوتها القانونية في الثاني عشر من تموز - يوليو ١٩٨٤م٠

على هذا الشكل ، بدءا من عام ١٩٦٢ ، تكون قد عقدت في اطار الامم المتحدة ، خمس معاهدات دولية شاملة ، وصدر اعلانات للمبادىء التي يجب على الدول ان تقتدي بها في عملها في ابحاث استكشاف واستغلال الفضاء الكوني٠

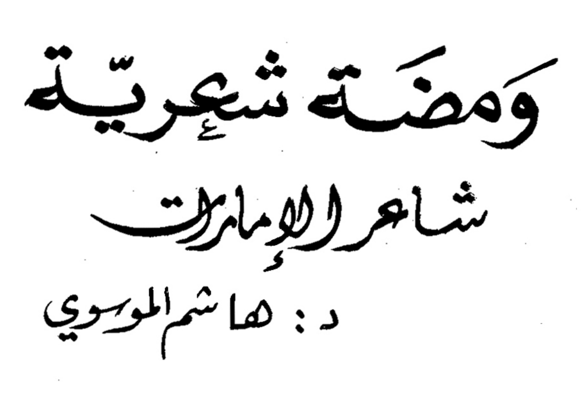
هذه لمحة سريعة حول الاسس القانونية الناظمة لعلاقات الدول الناشئة نتيجة الابحاث الفضائية ٠

غير ان الامر لا يقف عند هذا الحد ، ولا تسمح هذه العجالة بأكثر من ذلك ٠ فقانون الفضاء هو احدث فروع من فروع القانون الدولي المعاصر ، وابحاث الفضاء في ازدياد مضطرد، وتطور العلم والتكنيك في تقدم مستمر مما يفتح آفاق جديدة ، ويوسع المدارك ، ويضاعف الامكانات ، وهذا بدوره سيستدعي مسائل جديدة وجديدة تتطلب الحل والتنظيم ٠ على سبيل المثال ، يوجد اليوم العديد من المسائل التي يدور حولها وبصددها جدل حاد ونقاش عنيف في اوساط الامم المتحدة وخارجها ، منها : الخلاف حول المدار المداوم (المدار الثابت) الذي يبعد ستة وثلاثون الف كيلو متر عن الارض ، واعلان ثمانية دول هي : البرازيل ،وزائير ،واندونيسيا ، وكينيا ،وكلومبيا ،والكونغو ،واوغندة ، والاكوادور ،عن سيادتها على بعض اجزاء من هذا المدار باعتباره محدود المسافة والمساحة ، او الخلاف حول النقاط المتأرجحة (او نقاط التأرجح) ب - باعتبارها محدودة العدد وقريبة من مواقع اشباه الكواكب والاجرام السماوية الصغيرة ولكونها تتمتع بخاصية تمكن من بناء محطات ثابتة فيها ، خاصة وانه يوجد مشاريع محسوبة بدقة ، حسب الامكانات المتاحة حاليا ، لبناء قرى تتسع لعشرة الاف شخص ولمواد تزن مئة مليون طن يؤخذ اغلبها من القمر او من اشباه الكواكب القريبة من نقاط التأرجح او الخلاف حول اشباه الكواكب والاجرام الصغيرة التي يبلغ قطر كتلتها من مئة متر الى الالف متر ، اذ يمكن الاستفادة منها في الفضاء او جرها الى الارض ٠

هذا غيض من فيض فيه المتعة والفائدة ، ويقوي فينا الامل بالمستقبل، ويشد من عزيمتنا للخوض في غمار البحث والاستكشاف الذي يدخله الان قطرنا العربي السوري شامخا بهامته معززا ومعتزا بكرامته ، فاتحا مجدا للامة العربية كلها مساهما فعالا في بناء الحضارة المعاهدة والمستقبلية لما فيه خير الانسانية قاطبة ٠

يوسف الجرماني

دكتور بالقانون



ايه يا شعر لقد عدت اليكا
عل في العودة معنى لم تكن
وهموم في حنايا أضلع
وجدت في الروح أشجى وتر
وأنا الساهر من آهاتها
يا صديقي لا تقل لي أينا
لن أساقيك همومي خشية
وشجون القلب تهوى وترا
ودموع تتلظى حرقا
وشعور كبريق خاطف
ايه يا شعر وهذي ومضة
فتأمل كيف اوحت خبرا

وانا الهارب من بين يديكا
همسات الامس تفضيه اليكا
خفقت مستورة عن مقلتيكا
لم تبارحه لتعلو شفتيكا
وأنا المشفق منها وعليكا
ضيع الاخر فالسر لديكا
من وميض يتحدى خافقيكا
لم تجد آثاره في جنبتيكا
ما استنارت دربها في محجريكا
صادر القوة من بين يديكا
صورت معنى الاسى في ناظريكا
فيه تفصيل حكاياتي اليكا

١٩٨٧ – ابو ظبي

سيرة ذاتية

سعيد أبو الحسن

نيران على القمم

بعد الجلاء : البناء

الحلقة ٣٢

بعد ١٧ نيسان ، يوم الجلاء التام عن ارض الوطن ، اصبح الجيش مؤسسة وطنية ، واعطي الخيار للضباط اللبنانيين ليبقوا في سورية ، ضباطا في الجيش السوري اذا شاؤوا ، وفي احد الايام سمعت بأن ضابطا يدعى (العقيد زهران) قدم السويداء مفتشا للقطعات العسكرية فيها . العقيد زهران ؟ انه حتما الملازم زهران الذي اخبرني عنه والدي يوم سيق اهل قريتنا بأعقاب البنادق من عرمان الى صلخد - انه هو . فهل أسكت ؟ لا .. لا يجوز السكوت في مثل هذا الموقف ؟ ، وكتبت مقالا بعنوان : قانون حماية الاستقلال او الملازم زهران ١٩٢٦ ، العقيد زهران ١٩٤٦ ، رويت فيه عن الملازم زهران ما عرفته ايام اعادة احتلال الجبل وسألت هل يجوز ان يكون هذا اول وجه عسكري مسؤول يطل علينا بعد الجلاء ؟ هل نطمئن الى جيشنا الوطني الفتي إذا كان قادته من امثال زهران ؟ ..

وما ان نشر المقال حتى حدثت ضجة في اوساط الجيش والحكم ، وفي احد الايام التالية لنشر المقال زارني صف ضابط من تنظيمنا العسكري وقال لي انه يحمل رسائل تهمني الى بعض الزعماء : رسائل من العقيد زهران يسألهم فيها ان يشهدوا شهادة لصالحه وان يقولوا ان ما كتبه سعيد ابو الحسن فيه تحامل عليه ، وانه - اي زهران - كان يعامل الثائرين الذين يستسلمون للقوات الفرنسية ، المهاجمة معاملة حسنة ويساعدهم كثيرا ، بعد الاطلاع على الرسائل تركتها تذهب الى اصحابها على ان اطلع على الاجوبة عند رجوع الرسول ، ورجع الرسول حاملا

رسالة من المرحوم حمزة درويش احد قادة الثورة البارزين وكان معروفا بتعاونه اللامحدود مع الفرنسيين بعد الثورة ، وانضم الى الحركة الشعبية بعد الجلاء وقتل في صفوفها – غفر الله له ٠

واعطاني الرسول الرسالة وحمل الى زهران نسخة عنها – وتتضمن الرسالة بعض المجاملة لزهران ولكنها تتضمن بالوقت ذاته شهادة بكاتب المقال عن زهران خلاصتها ان فلانا (اي انا) معروف بأدبه واخلاقه ولا يصدر عنه الا القول المسؤول الخ٠٠ هذا التصرف بالاطلاع على الرسائل واخذ نسخ منها مخالف للاداب العامة حينما يكون الامر متعلقا بالشؤون الاجتماعية العادية ، اما اذا كان الامر يقع في اطار النضال ضد المستعمر وعملائه فمن حق المناضلين المقاومين ان يطلعوا على اسرار عدوهم بكل الوسائل ، ليعرفوا ماذا يبيت لهم ويطلعوا على خططه فيفسدوها ، المهم ان المقال انهى زهران وقد دعاني عدد من الضباط الشبان الى تناول طعام الغداء في نادي الضباط تكريما من اجل ذلك المقال ٠

قبل نهاية عام ١٩٤٦ كان علي ان اقوم بمجهود اضافي ، ان اقوم بجولة في بعض قرى منطقة صلخد ، لمشاهدة نتائج مسابقة السجاد ، والتعرف الى الرفاق الشبان في القرى ، وهم في ميدان عملهم وبين ذويهم ، وبدأت الجولة بصلخد يوم ١٩٤٦/١١/٢٩حيث عقدنا اجتماعا ليليا درسنا فيه مشاكل الساعة واستعرضنا الناحية الصحية وتصرفات الطبيب الوحيد في ما يسمونه (مستشفى صلخد) واطلعنا على التحف الرائعة من السجاد وما نقش فيه من اناشيد ومصورات جغرافية عربية مما تقدم ذكره ، وفي اليوم التالي انتقلت الى المشقوق خيّالاً ، والطقس بارد وانا ارتدي معطفي وطربوشي ، لم يكن ممكنا يومها الاستغناء عن لباس الرأس ، لأنه هذا غير جدير بالرجال ٠

وقضينا المساء والليل في المشقوق ورأينا تحفا من السجاد ، ونماذج من الشباب المفكر المتحمس ، وفي اول كانون الاول انتقلنا الى " شنيرة " وفي الثاني منه الى " عوس " وفي الثالث منه غدنا الى صلخد وصباح الرابع من كانون الاول عدت الى السويداء ، فقد كنت على موعد للسفر الى خلخلة في اقصى الشمال يوم الخامس من كانون الاول وكنت بالوقت ذاته على موعد مع القدر ٠

كان رفاقنا في خلخلة الواقعة في منطقة اللواء قضاء شهبة ، قد اعدوا انفسهم لتمثيل رواية " طارق بن زياد " وكان علي ان احضر الحفل وان اخطب فيه ٠ وكانت السيارة الوحيدة التي تستطيع الوصول الى خلخلة آنذاك هي سيارة الجيب، وحين ركبت السيارة كان عدد من رفاقنا في السويداء قد احتلوا المقاعد المريحة في السيارة ، ونحن في الجبل معروفون بمغالاتنا بتطبيق مبادىء المساواة والديمقراطية – وتطبيقا للحديث الشريف: " اقعدوا حيث ينتهي بكم المجلس " قعدت في المكان الخالي – ولكني كنت متعبا من سفرة عدة ايام على ظهر الحصان وانا من الاساس ذو بنية متوسطة ليس في من خشونة الجبال وقسوتها شيء سوى قوة الارادة ، والايمان ، ومتانة الخلق ،

اما من النواحي الاخرى فانا اقرب الى صفات ابناء المدن مني الى صفات ابناء الريف . وسط المرح والاهازيج ، والنكتة المستملحة ، وصلنا الى خلخلة ونزلنا بيت الصديق المعروف صابر المغوش ، وفي اوائل الليل انتقلنا الى ساحة المدرسة الرسمية لمشاهدة الرواية - كل القرية كانت هناك فضلا عن الوافدين من السويداء وشهبة وسائر القرى .وكانت ليلة باردة لكن جميلة الى ابعد حدود الجمال فالقمر يكاد يصبح بدرا والسماء صافية والمنطقة على حافة وادي اللواء بين صخور اللجاة والبادية تأخذ من كل مناخ قسما ، وكان على المشاهدين ان يكونوا خارج المدرسة ، والتمثيل يجري في رواق المدرسة على الطريقة التي وصفتها سابقا حين تحدثت عن تمثيل رواية " صلاح الدين " في صلخد ، وتتابعت مشاهد الرواية فصلا فصلا ، فاذا التاريخ العربي المجيد يبعث حيا امامنا ، طارق بن زياد ، قواده ، جنوده ، باللباس العربي التاريخي ، زمان فتح الاندلس ، لقد تجاوز رفاقنا حدود التصوير تشخيصا واداء : والقيت الخطبة المقررة فربطت بين الماضي والحاضر ورسمت خطوط نضالنا المستمر وكيف يجب ان يتطور اهدافا واساليب في عهد ما بعد الجلاء .

وحين لفظت الكلمة الاخيرة من الخطاب وسط التصفيق والهتاف شعرت بأنني لفظت معها شيئا من روحي : شعرت بوخزة حادة ، باردة في احشائي ، وعدنا الى القرية حيث تناولنا العشاء فطلبت من الصديق صابر ان يوقد النار فأنا اشعر بالبرد فأشعل نار الحطب والشيح ، وشعرت بشيء من الراحة ، ونمنا ليلتنا تلك في خلخلة ،

وفي صباح اليوم التالي عدنا الى السويداء فتوقفنا قليلا في شهبة للتحدث الى رفاقنا هناك وتابعنا طريقنا ، ووصلت الى البيت وانا اشعر بالتعب الشديد . ولكنني - كالعادة - كابرت وقلت : " انه مجرد تعب، في اليومين التاليين حضرت جلساتي كالعادة ، وصرفت اعمالي ، وانتقلت الى مكتب جديد تحت الفندق المقابل للسراي ، وأنا أشعر انني مدعو لامر ذي شأن وفي صباح ٩ كانون الاول ١٩٤٦لم استطع مغادرة الفراش ، فقد كنت اعاني اشد حالات المرض .

لقد استدعي الصديق الدكتور ناظم النكدي مدير الصحة لمعاينتي مرة اولى ومرة ثانية ، وحين تبين ان المرض هو ذات الرئة ، كان لا بد من معالجة سريعة بالبنسلين ، وكان التداوي به قد شاع حديثا - بعد الحرب - وكان البنسلين يحفظ داخل الثلج بالبراد ، ويجب ان تأخذ الحقنة منه مرة كل ثلاث ساعات بشكل متواصل ، ليل نهار ، وحين ارادوا تنفيذ ذلك وجدوا ان الممرض المسؤول عن الادوية ، الصديق فواز كرباج ، مسافر الى بيروت مع الوفد الذاهب للاشتراك في مأتم المغفور له الامير شكيب ارسلان .

وكان لا بد من انتظار عودته حوالي يومين ، وساعة عودته الى منزله اخبرته السيدة زوجته فجاء مسرعا ووجدني في حالة غياب عن الوجود ، لم اكن اعي شيئا مما يدور حولي، وباشر المعالجة وتولى ابن عمي جبر اخو زوجتي وهو ممرض ايضا تولى السهر علي واعطائي الحقن في مواعيدها . ويظهر اني اشرفت على الموت

وانتشر الخبر ، فصارت وفود الشباب تترى من جميع المناطق ، كانت تأتي بالسيارات الكبيرة ، باصات ، تعودني، وكأنها تلقي علي النظرة الاخيرة- وانا لا أعي شيئا - ستة ايام بلياليها انقضت على هذا المنوال ، عاد الي وعيي بعدها ودخلت في طور الشفاء ثم النقاهة ، وقد اصابني هزال شديد مما اقتضاني اكثر من شهر لاستعادة صحتي كاملة ، وكانت تجربتي عنيفة عميقة جددتني ، حين كادت تقضي علي ، جربت نوعا من البعث ، عودة الحياة بعد فقدانها ، ولا تسل ، قارئي العزيز ، عن الهذيان والعبارات الكبيرة التي تفوهت بها - كما رووا لي بعد صحوي ، مثل : " مسكين هذا الشعب ، ما زال يحتاج الي " او مثل " لا لا يجوز ان اترك رسالتي في منتصف الطريق " وغير ذلك من العبارات المماثلة ..

بانتقالي الى السويداء لم انقطع عن الاهتمام بالحضارة ، فلقد تابعت ارسال المقالات ، والاخبار ، وبسبب المرض الذي طال ، اخذت تردني رسائل من الجريدة معاتبة شاكية ، : " صدر العدد الممتاز وليس لك فيه شيء " " توفي الامير شكيب ولم تكتب عنه شيئا " " ومايزال امامنا متسع لمناسبة ذكرى الاربعين .." الخ.

لم يكونوا يعرفون في دمشق ، انني لم اكن في الدنيا كلها تقريبا ، .. وان مناسبة مأتم امير البيان كادت ان تكون سببا لعدم شفائي ، ولم يكن لدينا هاتف للاتصال بالجميع واطلاعهم على مايجري .

وكتاب اخر من الاستاذ فهمي يقول فيه ما معناه : علمنا ان فوزي القاوقجي موفد من الحكومة لاقناع سلطان بحضور الاحتفال بعيد الجلاء يوم ١٧ نيسان ١٩٤٧، بدمشق ، هذا امر يقوي الحكومة ، فيجب السعي الى افشال المهمة ، كانت تختمر في ذهني افكار بعيدة عن الاهتمامات المباشرة لرجال المعارضة ، كان يجب ان نبدأ الثورة الاجتماعية في الجبل ، فما عاد يجوز ، بعد ان جلا المستعمر ، ان نرضى بالوضع العشائري العائلي الاقطاعي القائم .

كان الحكم اضحوكة ، مهزلة ، القانون لا ينطبق على احد من الزعماء ، وطبق على ابناء الشعب ، على بعد خمسة عشر كيلو مترا من السويداء كان عدد من الجناة المحكومين بالاشغال الشاقة يعملون لدى احد المتنفذين ولا تستطيع قوة في العالم ان تدخلهم السجون لتنفيذ العقوبات المحكوم بها عليهم - والقنب الهندي - الحشيش - مزروع حتى امام ابواب مخافر الدرك، والرشوة متفشية ، وجداول العمال على الطرق وهمية ، اسماء بلا وجود ، واستعلاء وغطرسة ، واتصالات مشبوهة ، وتحركات مريبة .. انا لا اقول ان الحال في سائر اجزاء الوطن السوري ، كانت افضل منها في الجبل ، ولكن هناك كان القانون نافذا على الجميع .

والقاضي السوري اشتهر في اكثر العهود بتقديسه القانون واحترامه العدالة ولا سيما بعد ما قام الاستاذ عارف النكدي بحركة اصلاحية جذرية في القضاء .

اما في الجبل ، فلم يكن غريبا ان نشاهد (وقد شاهدنا فعلا) رجلا يطلق النار بقصد القتل على رجل اخر خارج المدينة ويتركه يتخبط بدمه بين الموت والحياة ، ويدخل المدينة على ظهر فرسه

ومسدسه ظاهر في حزامه ، ويمر امام دار الحكومة وهو مطمئن الى ان احدا لايجرؤ على التعرض له ، مجرد تعرض ، بل التحقيق معه او توقيفه..

كل شيء سيء كل شيء يحتاج الى تغيير او اصلاح ، هذه كانت قناعة الجميع ، ولكن من يبدأ ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ ومن اين ؟ ..

كل هذه العيون كانت تتطلع الينا وتنتظر ان تستأنف هيئة الشعب الوطنية نشاطها وتبدأ معركتها : ولكن على اساس ان نكون نحن الطليعة ، ونحن العمود الفقري لها

الانتخابات مقبلة ، في الصيف ، والناس في شبه تربص وترقب ، مثل الماء الذي ينتظر ان يحركه احد . وخططنا نحن لهذه البداية .

اصدرت بيانا ضمنته البرنامج العملي للعصبة لعام ١٩٤٧ وقلت في مطلعه ..

" وان هذا البرنامج يلخص بكلمة واحدة نعممها على جميع نواحي الحياة ، وهذه الكلمة هي : " نضال " ضمنته خطة العمل النضالية على الصعيد القومي والوطني والمحلي ، وحددت فيه المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها مجتمعنا وكيفية حلها ، وركزت على ضرورة تحلي المناضلين بأخلاقية متميزة ، صارمة وختمته بهذه الفقرة : " ايها الاخوان : هذا هو برنامجكم فاحرصوا على تنفيذه ، وليعلم كل واحد منكم انه مسؤول عن تنفيذ هذا البرنامج كله ، فاذا سكت احدكم على ضيم وصبر على ظلم ورأى اعوجاجا ولم يفضحه ، ورأى خيانة ولم يحاربها ورأى دسيسة تحاك ضد الامة والوطن ولم يقاومها فليعلم انه خان رسالته ومبادئه وواجبه القومي المقدس .

فلنناضل مجموعة وافرادا ، لنناضل في سبيل حياة عربية افضل واجمل ، لنناضل لان لا شيء يبقى من الانسان سوى النضال .

هذا البيان طبعته بواسطة محرري جريدة الحضارة بدمشق ، اعني ان المسؤلين العصبيين في المركز عرفوا ما ننوي ان نفعله في الجبل ، عرفوا بالتفصيل الافكار التي ننطلق منها ، وان النضال يستهدف ، اول ما يستهدف ، العقلية العشائرية الرجعية في المحافظة ، اقول هذا لان القارىء الكريم سيرى خلافا في الرأي بيننا وبين المركز حول اوليات النضال ، هم يريدون ان يهدموا حكم الكتلة ليحلوا محله ، وان يستعينوا على هذا التهديم بقوة الزعامة القائمة في الجبل ، الزعامة العائلية ، ونحن لا نرى انه يمكن للجبل ان يسير في طريق المستقبل المتقدم ، مستقبل القرن العشرين الا بزوال هذه العقلية العشائرية بالذات ، واعتقدت انه بالامكان (تحييد) سلطان ، حسب لغة فسلطان قائد اكبر ثورة وطنية ضد الاستعمار ، وهو رمز لهذه الثورة في اذهان الجماهير . والجماهير العربية ما تزال ترى ان التاريخ هو تاريخ القادة ، لا تاريخ الشعوب ، ولذلك فلن نستطيع ان نجازف في معركة داخلية قبل محاولة تحييده ، والا فسنجد انفسنا مضطرين لمواجهة رأي عام جاهل غاشم كالذي وصفه معاوية (لايفرق بين الناقة والبعير) .

ولمناسبة الذكرى الاولى للجلاء ، يوم ١٧ نيسان ١٩٤٧ دعوت لمؤتمر عام

للعصبيين في الجبل يعقد في المزرعة - موقع المعركة المجيدة المشهورة كبرى معاركنا ضد الاستعمار ، والقيت خطابا طويلا يمكن تسميته (الخطاب - البرنامج حييت به قائد الثورة المبتعد عن المظاهر) ، بينما يحتفل بالجلاء اناس كانوا ضد الجلاء وضد الثورة ، ثم انتقلت الى الحديث عن الواقع والمستقبل .

والخطاب ايضا يجب ان ينشر كله هنا لكي تخرس الالسنة التي اتهمت وتتهم الحركة الشعبية التي برزت للوجود مرة ثانية ، عام ١٩٤٧ بانها من خارج الجبل وبأنها حركة مشبوهة ، لقد وضعنا نحن العصبيين منهاج العمل لعام ١٩٤٧ قبل ان تبدأ الحركة الشعبية العامة بعدة اشهر ، وحين بدأت ، كنا نحن نواتها وطليعتها وملهميها وضامني عدم انحرافها ما استطعنا الى ذلك سبيلا .

وهذا نص الخطاب - البرنامج :

أيها الاخوان :

لم يكن اجتماعنا في المزرعة مرتجلا ولا صدفة من الصدف ، وانما هو اجتماع رمزي عقدناه في هذا اليوم ، يوم الجلاء ، وفي هذا المكان مكان المعركة الكبرى في الثورة الكبرى التي ثارتها الامة على العدو المحتل ، لنستعيد ذكرى تلك الثورة المقدسة ، ذكرى هذا الانتصار الرائع ، انتصار المزرعة ، ذكرى اولئك الشباب الابطال آبائكم واخوانكم وابناء عمومتكم ، ذكرى تلك الروح القومية المتأججة في الصدور يقتحمون بها الموت بثغور وقلوب مطمئنة ، ذكرى الدماء الذكية المهراقة على مذبح الحرية والاستقلال .

وشيء اخر اردناه من اجتماعنا اليوم في المزرعة هو اظهار الصلة القوية بين حركتنا الايجابية اليوم ، وحركة اخواننا السلبية في الثورة المقدسة ان حركتنا التقدمية هذه التي بدأت في ربوع هذا الجبل منذ عام ١٩٣٥ ونمت في ظل الاضطهاد وعلى الرغم من كل مقاومة وكل عقبة ، هي التتمة الطبيعية للحركة التحررية التي قام بها ابناء هذا الجبل الاشم عام ١٩٢٥ بقيادة ابن الجبل البار ورمز ثورته وجبروته الخالد وتمرده على كل ظلم واستعباد عنيت قائد الثورة السورية العام سلطان باشا الاطرش ، الجاثم اليوم في عرينه وهو اكثر ما يكون رصانة ووقارا وابعد ما يكون نفوذا وشهرة ، واعمق ما يكون تأثيرا وتوجيها ، بينما يحتفل بعيد الجلاء اناس نصفهم كان ضد الجلاء وضد الثورة وكثيرون منهم حملوا السلاح في صفوف الاجنبي ضد سلطان ورفاق سلطان في المزرعة واللجاة وراشيا واقليم البلان ، فللقائد المبتعد عن المظاهر ، الامين على رسالة الكفاح في حالتي السلب والايجاب ، نرسل تحية عربية خالصة مضمخة بعبير الدماء الطاهرة المنتشر في جو المزرعة يردد على مسمع الدهر اغنية انتصار الحق على الباطل وانتصار الحرية على الاستعباد والايمان القومي على الحديد والنار ..

لقد قلت ان بين حركتكم اليوم وحركة اخوانكم ابطال الثورة - ابطال المزرعة - صلات متينة ، فهم قد ابوا ان يناموا على الضيم وان يستسلموا للقوة . وارادوا ان يتحرروا فثاروا وانتصروا ، واقاموا الدليل على حيوية الامة وبرهنوا

على ان العرب لا يرضون عن الاستقلال بديلا ، وان لثورة الحسين وابناء الحسين توابع من الثورات لا بد ان تحصل وتتوالى حتى يتم للامة العربية ما تريد من حياة الحرية والوحدة والمناعة والكرامة .

وكذبوا ببطولتهم الخرافة التي كانت تسود الاذهان وتخامر النفوس قائلة ان الشعوب المنكوبة بالاستعمار والاحتلال لن تقوم لها قائمة ، وان الرجال العزل ، الا من الايمان ، لا يمكن ان ينتصروا على المدافع والطائرات والدبابات ، وان المحاربين القليلي العدد لايمكن ان يتغلبوا على الجيوش الجرارة المدججة بالسلاح واكبر برهان عملي اقيم في العالم على كذب هذه الخرافة هو انتصار المزرعة فهنا استطاع بضع مئات من الرجال المؤمنين بحقهم في الحياة المتحدرين من اكرم العرب اصلا وانقاهم دما ان يبيدوا جيشا عرمرما من الفرنسيين ، وانصار الفرنسيين ، مزودا باحدث انواع الاسلحة ، مدعوما بالطائرات الكبيرة ، يقوده نخبة من اشهر الضباط وامهرهم .

واعادت معركة المزرعة ، واعاد انتصار المزرعة الثقة الى النفوس الضعيفة ، والايمان الى القلوب المتشككة والقوة الى العزائم الخائرة ، ومن نار المزرعة قبس اخواننا في سائر البلاد السورية همة ومضاء ، فأوقدوا النار في مناطقهم ، وحدثت المعارك في كل مكان وتكبد العدو المحتل خسائر فادحة بالرجال والعتاد والمال ، وخسارة لا تعوض بالمعنويات والنفوذ .

وعقبت الثورة عندنا في الجبل فترة سوداء قاتمة ملؤها الالم والشقاء ، ملؤها الجوع والتشرد والذل والحرمان - وملؤها ايضا فساد الضمائر والتجسس والتزلف وبيع البلاد الى المستعمر بأبخس الاثمان . كانت فترة مخزية كادت تلحق بنا ، بتاريخنا بمستقبلنا ، وصمة عار لا تزول الى الابد .

ولكن فريقا مختارا من الشباب ، فريقا سعى الى العلم رغم الجوع والالم ، رغم الفقر والشقاء ، رغم الاضطهاد والمقاومة ، فتزود منه بما يعينه على استئناف الثورة ، وخوض معارك جديدة بدأها الاجنبي ، الا وهي معارك السياسة والجدل والصحافة والتأليف والدعاية .

وصمد الشباب في المعركة منذ عام ١٩٣٥ ، صمدوا وناضلوا ، مدافعين مرة مهاجمين اخرى ، متكتمين تارة مجاهرين اخرى ، منفردين او مجتمعين ، بشكل جمعيات سرية بشكل رابطة ادبية ، بشكل فرقة تمثيلية ، بشكل حزب سياسي ، حتى استطاعوا ان يوجدوا في هذا الجبل حياة جديدة ومقاومة عنيدة ونهضة في جميع مناحي الحياة فريدة .

وصممنا على العمل المنظم ، بعد الاعمال القديمة غير المنظمة ، فبدأنا التنظيم سرا عام ١٩٤٢ ، وتكتلنا فئة قليلة ، نبث الدعوة الى التحرر في كل مكان ، في الشارع ، في المدرسة ، في المضافة ، في صفوف الجيش ، وهو بقيادة ضباط اجانب ، القينا المحاضرات في كل مكان ، خطبنا في كل الاجتماعات ، جادلنا في كل المجالس ، حررنا المقالات في جميع الصحف ، والمجلات ، المتداولة بين ايدي الناس ، نظمنا القصائد الثائرة في كل مناسبة ، وكانت كل كلمة مما نقول او نخطط مفعمة بايماننا القومي ، وتمسكنا الشديد بحقنا في حياة الحرية والكرامة .

وكان انقلاب الجبل الرائع في ٢٩ ايار ١٩٤٥ نتيجة مباشرة لعلمنا المنظم ، وكان نجاحه وليد التفاهم المزمن والتحالف المتين والتضامن القومي الراسخ بيننا وبين الفئة المختارة من ضباط الجيش وافراده • واذا طاب للناس ان ينكروا علينا هذه الحقيقة الواقعة ، اذا طاب للناس ان يتعاموا عن هذه الوقائع الملموسة ، فهذا لاينفي وجودها وهذا لا يقلل من قيمتها ، وهذا لا يزيلها من اذهان الناس ، وان لم يعترفوا بها ، وان لدينا لوثائق خطيرة في هذا الباب سننشرها في الناس عندما تدعو الحاجة الى ذلك، وعندما نرى ان في نشرها فائدة وطنية عامة ، وهذه الوثائق ستظهر للملأ صلتنا الوثقى بتحرير الشمال من وطأة مستشارية وتحرير الجنوب من غطرسة أذناب الاستعمار فيه ، وتحرير الجبل كله من اخر اثر للاستعمار البغيض • وكان لتحرير الجبل اثر بعيد في تحرير سوريا ولبنان النهائي، لأن تحرر الجبل جعل آمال فرنسا تنهار انهيارا كاملا لاقيام لها بعده •

وكان شهر ايار ١٩٤٥ نهاية العهد السلبي لحركتنا القومية التقدمية التي اثبتنا خلالها اننا جديرون بماضينا ، جديرون بحمل رسالة اخواننا ابطال الثورة ، جديرون بتتمة ما بدأه سلطان واخوانه سلطان منذ عشرين سنة خلت •

ولم نقف في هذه الحركة عند حدود السلبية بل كنا لا نترك فرصة تمر دون ان نبث في صفوف المجتمع روح العمل القومي الايجابي ، روح البناء المنظم الراسخ السريع الذي يجب ان يرافق كل نهضة قومية حقيقية دائمة وشاملة • ماكنا نفتأ نعلم شباب القرى حياة الانطلاق والنظافة والاهتمام بالعمران والاعمال المنتجة الحرة • نعلم الشباب حقوقه وواجباته ليتصلب في المطالبة بالاولى وليتفانى في القيام بالاخرى • عملنا على الاصلاح ما استطعنا الى العمل سبيلا، وطالبنا بالاصلاح ما استطعنا الى المطالبة سبيلا • لقد ساهمنا في كل عمل صحفي او تأليفي ينشر في الجبل او يهتم بشؤون الجبل • وعندما ضاقت بنا الدنيا هنا ، عندما لم نجد متسعا لأفكارنا الحرة المتمردة القوية في الجبل نفسه ، عملنا على فتح الحقل الواسع لها في جرائد العاصمة ، في جرائد دمشق – فاذا الجبل يتفتق عن حركة فكرية واسعة النطاق ، تدهش سائر المواطنين بقوتها ، وعمقها ، وجرأتها ، ورصانتها واتزانها وصدق لهجتها ، كأنها مقتطعة من صخور الجبل القاسية ، مجلوة بفيض من نور شمسه الساطعة ، مضمخة بعبير من هوائه الناعم النقي ، واذا حامل الشهادة الابتدائية عندنا – بفضل اجتهاده وطموحه ومثابرته على المطالعة – كاتب قدير واديب مرموق •

ومنذ بدء حركتنا ونحن نشعر ان الاوضاع القائمة في بلادنا لا تخرج عن كونها اوضاعا فيها كثير من العيوب ، اوضاعا موروثة عن عهد الانتداب ، واذا هذه الالة الضخمة لا تقدر على الحركة ، واذا هذا الجهاز الحكومي لا ينتج ولا يبشر بالخير لا في الجبل ولا في خارج الجبل ،لافي العاصمة ولا في الملحقات ، لأنه جهاز ارتجالي ، مبني على اساس

الاسترضاء والحسوبية والاستنفاع، واذا هذه الالة الضخمة لا تسير ، ولا تتحرك ، ولا تنتج ، ولا تؤدي الخدمة العامة المطلوبة منها ، لان كل لولب منها مأخوذ من جهة ، ولأنه ليس فيها لولب واحد في مكانه الطبيعي المخلوق له ، ولأن فيها لوالب زائدة ولوالب نافرة واجهزة مستعارة وعجلات غيرمتناسقة ولامتساوية ، ومجركات غير منسجمة ولا امينا في حركتها ولا يؤمن شر خطرها دقيقة واحدة ، وقد بحثوا كثيرا ليجدوا الداء ويصفوا له الدواء - ولكنهم كانوا ابدا يلجأون الى الترقيع ، والترقيع اخطر ما يكون في المسائل القومية العامة التي تتطلب الجدة ، والمناعة ، والانسجام من جميع جهاتها .

ولم يبق مجال لمداراة احد ، ولا لمجاملة احد ، ولا للمراوغة ، فهذه امور لا تجوز في القضايا الوطنية والقومية . لا تجوز ان هذه القضايا تخص المجموع ولا تخص الافراد ولا يحق لأحد ان يتساهل فيها او يتنازل عنها او يتقاضى ثمن السكوت عنها في معزل عن المجموع .

نريد اليوم ان نعرف الوطنيين الحقيقيين من ادعياء الوطنية المتاجرين بها ، لقد جلب لنا الاستقلال مسؤوليات متنوعة ينوء بحملها جبابرة الرجال ، فكيف قابلنا هذه المسؤوليات ؟ لقد كان مثلنا مثل رجل صاحب عربة تجرها جياد وكان يكلف بسوقها حوذيا من طراز قديم يحسن سياسة الجياد ، ويحسن هز السوط ، والضرب به ، ويحسن توجيه الجياد في طريق سهلة واضحة المعالم . وقد تحسنت ظروف صاحب العربة المادية ، وتبدلت وسائل النقل بتبديل العصر فاشترى طائرة ذات اربعة محركات ، وبدا له ، بسبب جهله - ان حوذية القديم يستطيع ان يسوق هذه الطائرة ، كما كان يسوق عربة الجياد سواء بسواء . ولم يستطع عقله الضعيف ان يقيس الفرق الشاسع بين العربة والطائرات ، بين المميزات التي يجب ان تتوافر في الحوزي ، والمميزات التي يجب ان تتوافر في الطيار، وهكذا سلم الحوذي قياد الطائرة ، على غير استعداد ، وبدون تبصر بالعواقب ، اما النتيجة فلم يدركها ولا شك - النتيجة ان الحوذي لم يكد يدير محرك الطائرة حتى تحطم واياها ، في صدمة قاسية كانت لصاحب الطائرة درسا مفيدا ، ولكنه درس متأخرا عن اوانه . فقد الطائرة والحوذي وفقد كل شيء . وهكذا كان عملنا نحن في مطلع هذا العهد الاستقلالي ، لقد أردنا من الحوذيين ان يكونوا طيارين ، بلا علم ، ولا استعداد ولا تمرين، فكانت النتيجة ان بتنا نتخبط في ازمة سياسية اجتماعية لا اول لها ولا اخر.

نضع مصير هذا الوطن كله في ايدي فريق من العجزة ونطلب ان يسيروا به الى الغاية المنشودة ، ونحن في القرن العشرين وفي مجموعة من الامم الراقية التي لا تلحق عربتنا طائراتها ولايجاري حوذينا المحترم طياريها البواسل وندعي مع ذلك اننا وطنيون واننا نعمل لمصلحة الامة والوطن .

تمنح السلطة التشريعية لفريق من الاميين ، وننتظر منهم ان يضعوا لنا قوانين ترفع مستوانا الثقافي وتيسر سبل العلم والعمل للاجيال الصاعدة ونحن

انما نطلب المستحيل - نطلب من الحوذي، ان يحلق في اجواء الفضاء ، وهو لايعرف من الدنيا الا عنان حصانه وسوطه العتيق، البالي ، نطلب من هؤلاء الذين يقوم نفوذهم على الجهل ان يحاربوا الجهل ، نطلب منهم ، وهم يستمدون وجاهتهم من التقاليد البالية ، ان يسنوا قوانين يحاربون بها هذه التقاليد ؟ ان هذا مستحيل ، ونحن مع ذلك ندعي اننا مخلصون لهذا الوطن يهمنا مصيره ويشغل بالنا مستقبله .

لا نريد ان تخدعنا الالاعيب وماعدنا نكترث للادعاآت الفارغة - لا نؤمن باخلاص من يريد ان يضع مصير الطائرة وركابها بيد الحوذي العتيق ، لا نؤمن بنزاهة من يرضى ان يكون مستقبل الامة الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بيد رجال أميين لا يدركون من هذه الامور شيئا ، لا نصدق ادعاء من يقول انه يعمل لخير الوطن عندما نراه يوافق على قتل هذا الوطن ، على تحطيم هذه الطائرة ، على قتل هذا الشعب ارضاء لهذا الحوذي القديم ، ارضاء لهذا الجاهل الذي يريد ان يقابل معدات القرن العشرين بالقوس والنشاب .

نحن نستغرب كيف تفتح لنا ابواب الموت على مصراعيها وتسد في وجوهنا ابواب الحياة الواسعة ، نستغرب كيف سمح لهؤلاء الشهداء الابرار الذين نقيم اليوم في جوار اجداثهم الطاهرة ان يقبلوا على الموت في الطليعة ، وثغورهم باسمة وقلوبهم جذلة مستبشرة ، ولم يزاحمهم على الموت احد ، ولم يدع احد بحق الموت دونهم او عوضا عنهم ، نستغرب كيف سمح لهم ان يتقدموا الصفوف ويتغلبوا على الاعداء ويموتوا بدون مزاحم ، ثم لا يسمح لأبنائهم واخوانهم ان يتسابقوا في مضمار الخدمة الوطنية لمصلحة الوطن والامة ؟ ثم لايسمح لهم ان يعيشوا ساعة واحدة بدون مزاحمة ومزاحمة غير شريفة طبعا ، ولا يسمح لهم ان يخدموا وطنا افتدوه بالمهج الخفاقة والدماء الذكية ؟ نستغرب كيف يطبق مبدأ المساواة والكفاءة في ساعات الخطر وعلى ابواب الموت ، ويحارب هذا المبدأ في ساعات الفرج ، على ابواب الحياة ، على ابواب المسؤوليات الجسام ؟ ان هذا التناقض وحده كاف لأن يدلنا على حقيقة محترفي السياسة ، يستغلون عواطف الناس واخلاصهم وغيرتهم ووطنيتهم الصادقة ، يستغلون دماءهم وارواحهم ويبذلونها ثمنا رخيصا لمنافعهم الخاصة ، لنفوذهم الفارغ ، لتجاراتهم المشبوهة لرجعيتهم الممقوتة ..؟

اسألوهم هل مات الشهداء لتعم البلاد فوضى في الاخلاق والاعمال ؟ هل مات الشهيد ليبقى انصار الاجنبي معززين مكرمين اتقاء لشرهم واستجلابا لمرضاتهم ومناصرتهم وليبقى المخلصون المناضلون مبعدين مضطهدين لان اخلاصهم للقضية العامة ينفي وجود اي خطر على الوطن منهم ؟ هل مات الشهداء لتقوم فئة من الناس تسترضي كل خائن مارق حتى يخدمها وينفذ مآربها مثلما كان يخدم الاجنبي وينفذ مآربه ، هل مات الشهداء ليحرم ابناؤهم من المدارس الكافية والمعلمين الاكفياء ولتحرم قراهم من الماء الكافي وتحرم عائلاتهم من القوت الكافي ؟ هل مات الشهداء ليبقى وطنهم في مؤخرة الاوطان

وأمتهم في مؤخرة الامم ، لان هناك فئة لا تريد ان تتحول العربة الى طائرة فيعجزوا عن سوقها وامتلاك زمامها ؟ هل مات الشهداء لتبقى اقتصادياتنا بدائية ، وثقافتنا محدودة ، ووزننا السياسي العالمي خفيفا لان هناك فئة جاهلة لا تريد ان تتعقد الامور وترتفع فوق مستوى تفكيرها المعدوم ؟ هل مات الشهداء ليبقى كل شيء كما كان واسوأ مما كان؟

يا لضياع الدماء والارواح ان كان يسيطر في يوم عيد الجلاء رجال كانوا مع الاجنبي قبل ميسلون وقبل المزرعة وقبل ٢٩ ايار ١٩٤٥،وفي ٢٩ ايار بالذات ، كانوا مع الاجنبي واراقوا من دماء الشهداء ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ثم شاءت سياسة الترضية ، سياسة الوصولية والمحافظة على الكراسي ، السياسة الرأسمالية الاستثمارية ، شاءت هذه السياسة ان يبقى هؤلاء في مراتبهم وان تتسع صلاحياتهم وان يتصرفوا في شؤون الوطن العامة ، ويسيطروا على مصالح الافراد والجماعات ويقولوا للمستغربين المشدوهين :

" هكذا يفعل الرجال ، لهم في كل عرس قرص ، وفي كل ميدان دور .

يا لضياع الدماء والارواح ان كان محظورا على هذا السوري العربي المستقل ان يتجول حرا طليقا في بلاد اخوانه العرب ، بلا قيود ولا محاذير ، الا ما كان من هذا القبيل لمصلحة قومية عامة او لتدبير وطني ضروري . لقد شاء الاجانب ان يجزئوا الارض والعالميون ، فجئنا نحن ومكنا التجزئة وانزلناها في صكوك ومواثيق واحطناها بسياج من الاتفاقات المضحكة ، لا لشيء الا لكون هذه التجزئة ابرزت في الوجود فئة متاجرة ما كانت لولاها في العير ، ولا في النفير ، لا لشيء الا لان هذا السلطان الزائف الذي نتج لبعض الوصوليين عن هذه التجزئة لا يبقى الا اذا بقيت - ولذلك قرر الانفصاليون ان تبقى وجاؤوا يقنعون الناس بأنهم على حق وبأنهم مخلصون للقضية القومية العامة ، وبأن الاستقلالات المحلية خير حل للمشكلة العربية العامة ، ويح هؤلاء ، اما رأوا كيف اصرت المانيا على وحدتها وهي لا تفتأ تطالب بها ، رغم الاحتلال الاجنبي الرباعي ، ورغم رغبة المحتلين في تجزئتها ، واضعافها ، بمحو كل اثر لوحدتها الجغرافيه والتاريخية الوطنية والقومية ؟

ويح هؤلاء ،الا يعرفون ان اكبر قصاص يحلم المحتلون بامكان انزاله بالمانيا هوتجزئتها؟ وما داموا يعرفون هذا فلماذا يحاولون ان يبقى العرب مجزئين شعوبا وطوائف وبلاد العرب مقسمة الى دويلات ومناطق ؟

ويقولون بعد هذا انهم وطنيون مخلصون للقضية العربية العامة وانه ليس في الامكان احسن مما كان ايها الاخوان.

ايها الاخوان ..

نريد ان نبقى في بحثنا هذا ضمن حدود هذا الجيل ، هذا الوطن الاصغر الذي نريد ان نبدأ باصلاحه اولا ، ثم ننتقل الى اصلاح سواه ان شاء الله ، نريد ان نجعله حقلا نموذجيا لتجارب الحركة القومية الاشتراكية التقدمية .

لقد علمتنا التجارب انه يجب علينا ان نتدخل في كل شأن من شؤون الجبل ، لان موقف الحياد من مشاكل الحياة يجعلنا على هامش الحياة ذاتها ، ولان عدم الاهتمام بالامور السياسية العامة جهل مطبق بامور الحياة كلها . لان السياسة هي التي تسيطر على كل شيء في هذا العصر . فلا علم ولاعمل ولا خبز ولا تقدم ولا صحة ولا نظام ولا امن اذا لم تكن هناك سياسة صالحة موجهة . دلوني على عمل يمكن ان يقوم به الانسان بدون ان يصطدم بمشكلة سياسية . بمشكلة قانونية لها صلة متينة بالسياسة نفسها ؟

لقد تركنا المجال لغيرنا رغبة منا في عدم المزاحمة والتطفل ،وتطبيقا لمبدئنا القائل انه يهمنا ، ان يحصل الحق ولا فرق عندنا ان يحصل على يدنا او يد غيرنا ، فكانت النتيجة ان اصطدمنا بعقم في كل شيء : عقم في الكفاية ، عقم في التدبير، عقم في الابتكار ، عقم في كل شيء ..

لقد تركنا لغيرنا ان يتولى امر الاعانات المرسلة من اخواننا العرب المغتربين في ديار المهجر من اجل العلم وعمران المدارس، فكانت النتيجة ان جاءت الاموال وما رأينا مدرسة تبنى، ولا دار مطالعة تشاد ، ولا مكتبة عامة تؤسس ، مع شديد حاجتنا الى ذلك ، مع اننا - يشهد الله - اوثق اتصالا باخواننا المغتربين ، واقدر على مراسلتهم افرادا او جماعات ، بالبريد الخاص او على صفحات الجرائد ، ومن هذه التجربة استنتجنا ان وقوفنا على الحياد كان خطأ ، وأننا يجب ان نتصل باخواننا المغتربين ونطلعهم على اهمال رغبتهم الحارة ، وعلى بقاء اموالهم في عالم الغيب فكأنها لم ترسل ،وكأنها لم تخصص لمشروع ما ، وكأن المدارس لم يتبرع لها احد ، وسنتصل باخواننا المهاجرين ونستقبل تبرعاتهم السخية ونبني بها المدارس ودور الكتب ، ودور المحاضرات والنوادي - وعندما نقوم بهذه الاعمال ليقل لنا الناس انهم لايقبلونها لانها جاءت عن طريقنا ، وبنيت بواسطتنا ليرفض المدلجون في الليل الحالك ان يستنيروا بنور نقدمه لهم - ولكننا لا نعدم فريقا مختارا يقبل النور ويمشي على هديه وهو يشكر للمجتهدين اجتهادهم وللمحسنين احسانهم .

شجعنا فكرة اقامة نصب لشهيدنا المجهول ، كتبنا عنها في الصحف تركنا المجال لغيرنا ليخرجوا الفكرة الى حيز الوجود ، ولكن الفكرة ماتت في المهد ، لان الذين تركنا لهم الحرية العمل وحدهم ، لم تؤهلهم استعداداتهم الخاصة لاتمام مثل هذه المشاريع القومية العامة ، ولذلك فستتبنى هذه الفكرة نحن وسنقيم هنا بجانب المزرعة ، على حافة الطريق العام ، فوق هذه الارض المقدسة ، نصبا لشهيدنا المجهول ، ينحته فنان عربي مؤمن بعروبته ،وسنستجدي لهذا المشروع اكف المقيمين من العرب والمغتربين وعندمايقام التمثال ويزاح عنه الستار برعاية قائد الثورة العام، عند ذاك ليتقدم من يريد ان الناس ، وليقل انه غير راض عن هذا العمل ، لانه تم على يدنا لا على يده هو، اننا بعد اليوم لن نكترث لما يقال ، ولن نهتم

الا بما يعمل ، فالقول هراء يذهب مع الريح والعمل وحده باق الى الابد .

نشعر كلنا بحاجة الى قانون خاص بمعاقبة من يتعاطون الربى ، ويتقاضون الفوائد الفاحشة ، تحت ستار الدين العادي ، فيمتصون ثروة البلاد ويخقنون الفلاح المسكين دون ان ينالهم قصاص او يردعهم رادع ، ولكن كيف السبيل الى اقرار هذا القانون اذا لم يكن لنا في البرلمان نائب يؤمن بهذه الفكرة ؟ .. وعريضة الى مجلس النواب المقبل ، فلابد ان يلقى طلبنا لديهما اذنا صاغية ، فينقذا هذا الوطن من داء يكاد يقضي عليه ، هو داء الرأسمالية المستثمرة في افظع اشكال الاستثمار ، لا ، لن نقف على الحياد بعد اليوم ، فالحياة تنادينا لنخوض غمارها . والوطن ينادينا لننقذ سمعته ، ونصون كرامته ، ونحمي ذماره ، من أهله ، وممن يدعون الاخلاص له ، ويتظاهرون بالاستعداد للتفاني في خدمته .

سنحارب كل اعوجاج نراه ، وسنقاوم كل اجحاف نصادفه ، وسندافع عن كل حق هضيم وعن كل مشروع نافع .

في اطراف الجبل قرى ظمأى يكاد أهلها يموتون وحيواناتهم من قلة الماء ومن القرى ما هي داخلة في مشروع مياه عين بدر ، والتمديدات واصلة اليها — والماء لا يصل . لماذا؟ لان مجاري المياه مهملة ، ولأنها مفجرة في عدة اماكن على الطريق ، للتجارة ولايقاع الضرر ، ولانها غير موزعة توزيعا عادلا ، بين القرى ، ولأن الاهالي لا يكلفون انفسهم عناء المراجعة والمطالبة فنحن سنطالب بارواء هذه القرى وصيانة المياه على طول الطريق ،والعدل في توزيعها ، حتى على الرغم من اهل القرى الظمأى .

وعندما يرتوي هؤلاء الاهلون عندما يشعرون براحة الري ، هموحيواناتهم ليقولوا لنا انهم لا يريدون ان يشربوا بواسطتنا ، ليقولوا لنا ان الماء الذي يأتي عن طريق الشباب لا يرضيهم ولا يرويهم .

ايها الاخوان ..

لقدجربنا كل وسائل الاصلاح فلم نجد وسيلة افضل من الاقدام على عمل ما ننتفع بفائدته ، بحزم وهمة ، مهما كانت النتائج . لقد شجعنا صناعة السجاد هذا العام فجعلنا الجائزة لمن تصنع اكبر كمية منه ضمن شروط تعرفونها ، وها ان النتائج ظهرت وقد ربحت الجائزة الاولى امرأة صنعت اربع سجادات في عام واحد ، ان السجادات الاربع تساوي على ادنى تقدير ، الفا وخمسماية ليرة سورية ، ان امرأة واحدة اضافت الى ثروة بيتها هذا المبلغ لامرأة جديرة بالاحترام والتقدير ، وهي ، فوق ذلك قد اضافت الى بيتها الفن والجمال والرفاه وراحة الضمير ، واذا عرفنا ان مثل هذه المرأة لم تكن لتنتج شيئا من قبل ، تأكد لنا النفع العظيم الذي ينجم عن مثل هذه الجوائز الموضوعة لتشجيع صناعاتنا الوطنية . واذا كانت امرأة واحدة قد صنعت اربع سجادات فقد صنعت كثيرات من النساء ثلاث سجادات كل واحدة ، وعدد اكبر منهن سجادتين كل واحدة ، وعدد اكبر واكبر سجادة واحدة

كل امرأة • وكل هذه السجادات تحمل شارة العصبة او عبارة مسابقة العصبة لعام ١٩٤٦، وقد تبارت فتياتنا المعلمات في التفنن ، فنسجن النشيد الوطني على السجادة الواحدة – وكان كاملا مقروءا ، ونسجن العلم العربي على اطراف السجاد ، وأبياتا مختارة من الشعر العربي القوي بمدلوله العظيم بمعناه وتوجيهه •

وبالنظر الى النجاح الباهر الذي لاقته فكرتنا فسوف نخصص جائزة هذا العام – عام ١٩٤٧ – للاتقان ، نريد ان ترتقي بهذه الصناعة ، فلا يكفي ان ننسج كثيرا ، بل يجب ان ننسج جيدا ، ولهذا فسوف تكون جائزة هذا العام لمن تصنع احسن سجادة ضمن شروط المسابقة – اي احسن سجادة موضوع عليها رمز العصبة او عبارة مسابقة العصبة لعام ١٩٤٧•

اما صناعة النسيج فقد فازت بالجائزة الاولى فتاة نسجت اربع عشر قطعة مختلفة من الصوف الجبلي ، مع وضع علامة العصبة وفقا للشروط المسابقة ، اربع عشرة قطعة من الصوف كتابة عن كسوة كاملة لعائلة كثيرة العدد • انها لثروة لا يشعر بها الحياديون ، تنتجها الفتاة فتقضي وقتها بما يفيد بدلا من ان تقضيه هارفة مثرثرة ، وجائزة النسيج ستكون هذا العام للاتقان ايضا – مثل جائزة السجاد وسواء بسواء – وسنقيم معرضا للنسيج ومعرضا للسجاد في العالم المقبل ، وسندعو لترويج سوق السجاد الجبلي والمنسوجات الجبلية في الخارج ، وكم يكون اخواننا المهاجرون مسرورين لو اتيح لهم ان يفرشوا بيوتهم في المهجر من سجاد هذا الجبل الاشم •

اما فيما يتعلق بحركة التأليف والنشر ، فعلاوة على مقالات الجرائد والمجلات الكثيرة التي انتجها اخوانكم
والمجلات الكثيرة التي انتجها اخوانكم
نطالعكم عن قريب بمنشورات ذات قيمة كبرى ، فرجوا الخير وانتظروا وسيكون الجواب ما ترون لا ما سمعتم ان شاء الله •

ايها الاخوان ••

لقد اطلت عليكم ، وعذري عندكم اننا لم نجتمع بعد مرة واحدة في مكان اقدس من هذا المكان ، ولم ننهل الوحي مرة واحدة من جو أطهر من هذا الجو ، ولم نقف بعد مرة واحدة في ارض تمور بالحياة مثل هذه الارض المباركة ، ولم نجمع امرنا مرة واحدة كما اجمعناه الان ولم نستقبل الحياة العاملة المنتجة ، الحياة المبدعة المخصاب ، كما استقبلناها هذه المرة • فاذكروا هنا بين خفق الارواح العلوية ، وهمس النفوس الذكية ، اذكروا انكم تقطعون العهد للاجيال الصاعدة بان تعملوا وتعملوا وتعملوا ليرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ••• ولتحي العروبة ••

سعيد ابو الحسن

حَنين

للصمّة بن عبد الله*

حَنَنْتَ إلى ريّا ونفسُك باعَدتْ ... مزارَكَ مِنْ ريّا وشَعْباكُما معا

فما حَسَنٌ أنْ تأتِيَ الأمرَ طائِعاً ... وتجزَعَ أنْ داعي الصَّبابَةِ أسْمَعا

قِفا ودِّعا نجْداً ومَنْ حلَّ بالحِمَى ... وقلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنا أنْ يُوَدَّعا

بِنَفْسِيَ تلكَ الأرْضُ ما أطْيَبَ الرُّبا ... وما أحْسَنَ المُصْطافَ والمُتَرَبَّعا

ولَيْسَتْ عَشِيّاتُ الحِمَى بِرَواجِعٍ ... عَلَيْكَ ولكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعا

ولَمّا رَأيْتُ البِشْرَ أعْرَضَ دُونَنا ... وحالَتْ بَناتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا

بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرَى فلَمّا زَجَرْتُها ... عَنِ الجَهْلِ بَعْدَ الحِلْمِ أسْبَلَتا مَعا

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتّى وَجَدْتُني ... وَجِعْتُ مِنَ الإصْغاءِ لِيتاً وأخْدَعا

وأذْكُرُ أيّامَ الحِمَى ثُمَّ أنْثَني ... عَلى كَبِدي مِنْ خَشْيَةٍ أنْ تَصَدَّعا

---

* هو شاعر غزل هوي بنت عم له يقال لها ريّا فخطبها إلى عمه فزوجه إياها على خمسين من الإبل فجاء إلى أبيه فسأله ذلك فساق عنه تسعاً وأربعين وقال عمك لا يناظرنا بنقصان ناقة فسائها إلى عمه وذكر له ما قال أبوه فأبى أن يقبلها إلا كملا فلج أبوه ولج عمه فقال والله ما رأيت ألأم منكما جميعاً وإني لألأم إن أقمت معكما فرحل إلى الشام فتبعتها نفسه فقال هذه القصيدة .

كفرت بالعيد

زكي قنصل

لا العيد عيدي ولا الاعلام اعلامي
فارفق بدمعي ، ولا تهزأ بآلامي

لم يبق في مزهري لحن ولا وتر
ليرحم الله احلامي واوهامي

هاضت رياح الاسى واليأس اجنحتي
وحطمت غضبة الارزاء أقلامي

كفرت بالعيد تمشي في مواكبه
على جراح مثاكيل وأيتام

كفرت بالعيد نفضي فيه من خجل
ونخفض الرأس من ذل وارغام

دنيا العروبة غرقى في مآتمها
فكيف اجرح سمعيها بأنغامي ؟

ضاعت سفينتها في غمر داهية
دهماء تضربها بالمزبد الطامي

يا ناعم البال لا تشمت بنكبتها
ولا تكن طعنة في جرحها الدامي

عار على الحر ان تسقيه غادية
اذا تحرق في رمضائه ظام

الرقص الا على الاجداث مغتفر
اعوذ بالله من سهم ومن رام

يا حائمين على أشلاء أمتكم
ماذا تركتم لسرحان وضرغام

صونوا حمى الوطن المهتوك جانبه
ثم اسلبوه بقايا دمعه الهامي

هذي فلسطين في الاغلال راسفة
ينوشها السوط من خلف وقدام

لولا الخيانة ، لم توطأ كرامتها
ولم تهن لصعاليك و أقزام

يا فتنة المال كم أغويت من قلم
وكم جنيت على تاج وصمصام

لأجل عينيك قد ضحت زعامتنا
مهد المسيح على اقدام حاخام

من الأرشيف

لامرتين في سورية

د. أنور حاتم

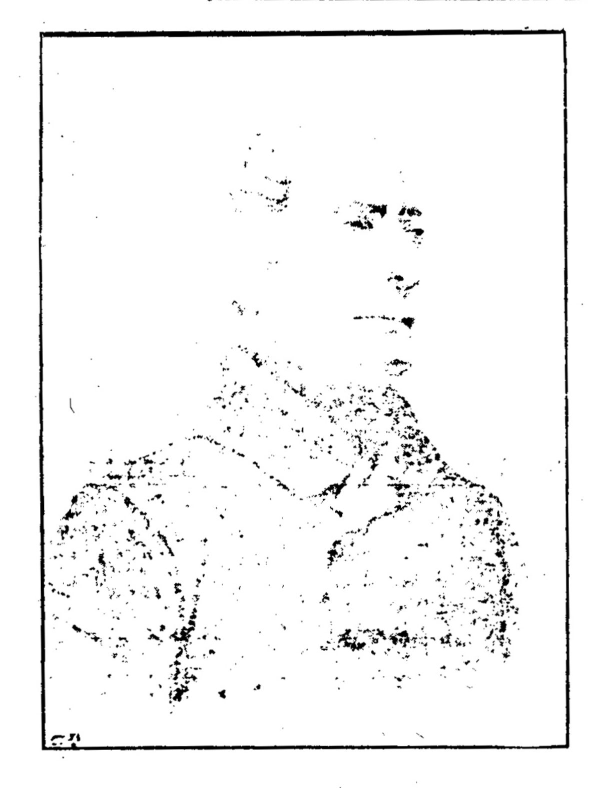
استهوى حب الشرق جميع الناس في اوائل القرن التاسع عشر فسحرت اوروبا كلها بقراءة (دليل) شاتوبريان من باريس ـ الى القدس وبكى القرن باسره موت الشاعر الانكليزي (بيرون) شهيد استقلال اليونان ونال فيكتور هيجو شهرة كبيرة حينما نشر (الشرقيات)

لم يسافر لامرتين الى الشرق كما زعم بعض الرواة لكي يعزي نفسه بعد فشله في الانتخابات النيابية ولكن السفر الى سوريا كان حلم حياته الدائم. سمع نداء الشرق صغيراً ورآه في احلامه المدرسية حيث تجلى له بسحره ووحيه وشمسه الساطعة وقد قال في كتاب عام ١٨١٨ : « لو كنت املك مائة دينار فقط لسافرت بها الى اليونان والقدس وحرمت نفسي من جميع المآكل سوى الخبز »

غادر لامرتين فرنسا ومعه امرأته وابنته وطبيبه الخاص وصديقان وستة خدم وبلغ بيروت في ٦ ايلول سنة ١٨٣٢ على ظهر (الانست) السفينة التي استأجرها من برونو روستان جد الشاعر الكبير ادمون روستان مؤلف سيرانو دي برجراك وغادر لامرتين سوريا من يافا قاصداً القسطنطينية في ٣٠ نيسان عام ١٨٣٣ وكانت رحلته الى الشرق من اسباب اهتمامه بالمسائل السياسية والاجتماعية

وقد خيبت زيارة بلاد اليونان آمال الشاعر ولم ير فيها غير صخور عادية مجدبة ولكن الساحل السوري ادهشه بعظمته وتنوع مناظره وقد ترك امرأته وابنته في بيروت وذهب على رأس قافلة فخمة مؤلفة من خمسة وعشرين حصاناً لزيارة فلسطين وبلاد الشام وعند عودته اصيب بموت ابنته الوحيدة جوليا التي توفيت في بيروت في ٦ كانون الاول ومرض لامرتين نفسه واشرف على الموت في قرية نائية في بلغاريا اثناء مروره بها راجعاً الى بلده (ماكون)

حب لامرتين سورية وحياة السوريين واخلاقهم وعاداتهم ولم تخف عليه فوضى التي كانت قائمة في البلاد وتعدد الحكام والامراء والديانات فتأسف على ذكاء ذلك الشعب الضائع وقال : « كم من الاعمال العظيمة كان يستطيع ان



« لامرتين »

يأتي بها رئيس حاذق مع رجال كالسوريين ، فلو امكنت ربع ما ملك صحاب المصارف في باريس او لوندرة لجددت في عشرة اعوام وجه سورية »

اتى لامرتين الى سورية ليستمد الوحي والالهام فوصل اليها وهو شاعر الغرام وغادرها وقد اصبح شاعر الانسانية ، كان قبل سفره يرجع بانظاره الى الماضي باكياً عليه فغدا الآن رسول الرقي والاخاء بين الشعوب وكان لزيارته الى (لادي استير استنهوب) ابلغ اثر في روحه وقد بحث المؤرخون طويلا عن حقيقة هذه

المرأة الانكليزية السمرية التي كانت منقطعة على قمة جبل منعزل يصعب الوصول اليه فرُوي عنها انها وُهبت النبوة وكُشف لها ستار الغيب ورُوي عنها انها انتخبت ملكة على تدمر تحكم البدو والعربان وتُرفع اليها الصلوات ولكن حقيقة امرها انها جاسوسة انكليزية اشبه بالكولونيل لورنس او بالحاج سان جون عبد الله فلبي

زار الشاعر قبر المسيح في القدس ولم يطلب منه الايمان الذي اضاعه بل الوحي الذي يحقق امانيه في الحياة وكان يشعر بنفسه انه سيكون يوماً قائد شعب وسياسياً من اكبر ساسة اوروبا واحد دعائم الفكرة الجمهورية في فرنسا

ثم عمل لامرتين عند رجوعه الى فرنسا لتحرير الاقطار العربية من النير العثماني وكان يحب الاسلام وقد مدحه مراراً بشعره ونثره وعارض في بعض خطبه في المجلس النيابي فكرة الحروب الصليبية وعندما ارادت مدينة (اميان) ان ترفع الستار عن التمثال الذي شيدته لبطرس الناسك الذي كان اول من بشر بالحروب الصليبية رفض لامرتين حضور هذه الحفلة ونشر مقالا في احدى الجرائد روى فيها الاضرار التي سببها هذا الرجل

مال الشاعر الى البلاد السورية لانه رأى في جمالها شيئاً اشبه بجمال شعره وكان للميول والاهواء التي قامت في نفسه هناك صدى عميق اثر في وحيه .

وغادر الشرق متأسفاً لانه لم يولد على ضفاف نهر الاردن او نهر الكلب وطاف في فلسطين لعله يسمع في ضميره رسالة نبي عصري او وحياً جديداً يلقنه الى الغرب فيدعو الناس الى المحبة والمساواة وقد كان يحلم مراراً انه سيصبح يوماً محرر الامم ومؤسس العدل في الدنيا وبينما كان في شهر آذار عام ١٨٣٣ يطوف داخل قلعة بعلبك تمثل له شيخ عربي وبشره ان مقاطعة (برك) في شمال فرنسا انتخبته نائباً وهناك تصور لاول مرة في حياته الادوار التي سيلعبها عام ١٨٤٨

ترك لامرتين الشرق واحلام الشرق لم تتركه وقد رجع اليه في ١٨٥٠ بدعوة من السلطان عبد المجيد الذي اهدى اليه اراضي واسعة بالقرب من ازمير لكي يزرعها ولكن لم يصل الى سورية في هذه المرة بل رجع الى فرنسا ليفتش عن رأس مال يستطيع بواسطته ان يستثمر املاكه التركيه وكان يلذ له ان يقول في شيخوخته اريد ان اقضي عمري زارعاً في لبنان .

انور حاتم

---

٩٦ — وما انصفت مهجة تشتكي
هواها الى غير احبابها

قالَ صُرَّدُرُّ :

تموت نفوس بأوصابها   وتكتم عوادها ما بها

وما انصفت مهجة تشتكي   هواها الى غير احبابها

فمن مخبر حاسدي انني   وهبت الاماني لطلابها

فان عرضت نفسها لم تجد   فؤادي من بعض خطابها

ولو شئت ارسلتها غارة   فعادت الي باسلابها

ولكنني عائف شهدها   فكيف انافس في صابها

واعلم ان ثياب العفاف   اجمل زيٍ لمجتابها

تذل الرجال لأطماعها   كذل العبيد لأربابها

حكمة غاندي أو طفولة المهاتما

د. جميل صليبا

اقتبست هذه المقالة من كتاب قيد الطبع للكاتبة اليونانية (ايليني ساميوس) تصف فيه حياة المهاتما غاندي المقدسة باسلوب شعري جميل •

لا أزال أذكر وجه امي الكئيب المطرق فوق سريري ، فقد كان على جبهتها دائرة تلمع كأنها كوكب خافق في الظلام الحالك، وكان من عادتها أن تنهض من النوم قبل الفجر ، وقبل أن يستيقظ أحد من الناس ، فتقف كسائر النساء الهنديات ، صامتة واجمة مفكرة ، مدة نصف ساعة ، كأنها تخشى ان تعكر سكون الصبح •

وكانت مولعة بزينتنا فاذا أنتهت من ذلك عانقتنا وطلبت من كل واحد منا ان يردد في نفسه : " أنني حر ، انني شجاع ، ان لساني لاينطق بغير الحقيقة " •

لم تكن سني تتجاوز الرابعة يوم كنت اقول : " لا أريد أن أضر احدا أريد أن أتعود فعل الخير •

لقد علموا والدتي يوم كانت صغيرة كثيرا من الاشياء التي يعلمونها اليوم لاخواتنا • لقد علموها أن تمشي رويدا فاذا مشت كتفت وخطرت في مشيتها بلطف كما تخطر اليمامة ، ولا أذكر انني سمعت صوت خطواتها أبدا •

لم تفارق الابتسامة شفتي والدتي ابدا ، فكانت كثيرة الصبر، لا تعرف التعب وما كنا نسمعها تفتح او تغلق بابا ،ولولا صلصلة الحلي فوق ثوبها الفضفاض لما كان احد يشعر بمرورها ابدا •

كان النساء يلتقين كل يوم في الساعة الثالثة بعد الظهر في صحن المعبد الكبير •

فاذا انتضد عقدهن في ظلال الشجر تحدثن عن كل ماجرى معهن في النهار ، ثم اغرقن في الضحك والثرثرة ، ولا يعدن الى سكوتهن وتأملهن الا بعد سماع جرس الكاهن واذا قرع الجرس قرأ الكاهن بصوته الحزين بعض ملاحمنا المعروفة ثم تبعه الناس مرددين ما يقول بصوت غض خفي لانهم كانوا يحفظون تلك الملاحم غيبا •

آه ، كم كنت أحب سماع هذه الاناشيد•

لقد كانت نفسي معجبة بهؤلاء الابطال الذين لا يغلبون والذين توصلوا بشجاعتهم الى التغلب على قوى الشر فغلبوا تارة ملك الحيات واخرى ملك القردة •

وكنت أحب ان أنظر من قريب الى الفقراء والحجاج الذين كانوا مقيمين في صحن المعبد ، ولقد صادفت الحكمة غير مرة تحت اثوابهم البالية ؛

لا أزال أذكر رجلا من هؤلاء الفقراء المتسولين ، فقد كان طويل القامة ، صلب الوجه ، لأن الشمس والامطار قد جعدت غضونه ولكن الشرف المتدفق من عينيه وملامحه المتسقة كانت تدل على

اصله الشريف دلالة واضحة .
لقد أدرك سكان مدينتنا حقيقة سره لان غضون جبهته لم تكن تخفى عن الناظر اليها ان صاحب هذه الجبهة المتجعدة شريف النسب قدهجر ثورته واولاده ليكسب بهذه الحياة البسيطة الحكمة السامية .
لقد كان لهذا الفقير الحاج صوت جميل ، وكنت اسمعه ينشد على قيثارته قصائد احسن شعرائنا :
نحن نهيم منذ طلوع الفجر على وجهنا ..
سائرين دائما الى الامام
لا نقف الا حينما يخيم الظلام
ويزول النور ، صديق الجميع
نحن أولاد القدر الاحرار
مالنا وللثروة
وللعظمة والقوة
والمجد والسلطان .

قد يهبنا الدهر منزلا او ثيابا
وقديحرمنا منها .
وقد يهبنا خبزا أوذهبا
وقد يحرمنا من ذلك كله
أما نحن فلا نتغير
بل تبقى قلوبنا سعيدة ..

الدهر أشبه بالعاصفة الهوجاء
والمستقبل زهر لم تنشق عنه اكمامه
ليت شعري هل نحيا لنجني ثماره

نحن نسير دائما مجتمعين
لا نخاف من شيء حاملين عصا الحرية في يدنا ..
تائهين حائرين من بلد الى آخر..

حتى نصادف الليل
الذي يوصل الملوك
كما يوصل الفقراء
الى نهاية اسفارهم كلها .

*

حكمة غاندي

ما اعظم اللذة التي كنت أشعر بها عند سماع هذه الانشودة الحماسية .
تعلمت من هذا الفقير اسطورة جميلة وذلك انه لما كان ذات يوم واقفا في الطريق تجمع حوله اولاد المدينة واخذوا يسألونه قائلين:
- ماذا يجب على الانسان ان يفعل اذا اراد ان يكون صالحا ؟
فأجاب الحكيم :
- أيها الاولاد ، كان فيما سلف من الزمان رجل حكيم فاضل قضى حياته في اقامة الصلاة وفعل الزكاة فلما جاءه هادم الحياة صعدت روحه الى السماء فوجدت باب الجنة مغلقا ، فطرقت الباب حتى سمع الله صوتها - وكان واقفا وراء الباب - فقال لها :
- من الطارق ؟
فقال الرجل الصالح :
- أنا أيها السيد افتح لي باب جنتك .
فأجابه الله :
- انك لا تستطيع الان أن تدخل الجنة ، عد الى الارض ولا تأت الي الا بعد ان تجد الحكمة العلوية .
فرجع الرجل الصالح الى الارض وعاش فيها مرة ثانية ، وتصدق بكثير من امواله على الفقراء ، وزار كثيرا من المعابد والاماكن المقدسة فلما جفت ذبالة حياته أخذ لدخول الجنة اهبته .
فقال له الله من جديد :
- من هذا ؟
قال الرجل الصالح :
- أنا أيها السيد افتح لي باب جنتك انا ، أنا ابنك الصالح ، لقد عدت من الارض ،
فقال الله :

- والآن ايضا لا تستطيع ان تدخل الجنة ، ارجع الى الارض ولا تعد الي الا بعد ان تجد الحكمة العلوية

فرجع الحكيم مرة ثالثة الى الارض وهجر منزله وزوجته وابنه الوحيد واعتكف في الحرج زمانا طويلا للبحث عن الحكمة العلوية فوجد الحقيقة بالتأمل والاتحاد ثم انقضت الاعوام اثر الاعوام ، وأظلم سراج حياته فحمل عصاه وصعد الى السماء وقرع باب الجنة . فسأله الله من وراء الباب من أنت ؟

فقال الرجل الصالح :

- أنت ، أنت ايها السيد ، أنت اما انا فقد نسيت نفسي ، واتحدث بذاتك فقال الله :

- ادخل يا بني ، الآن عرفتك .

ثم فتح له باب الجنة .

*

لقد كانت حياتنا ... نحن الشرقيين في الازمنة الماضية جميلة جدا ، لاننا كنا في غنى عن هذا الوحش الضاري الذي يسمونه الآلة .

وكنا نجد من الوقت متسعا للتأمل ، فنفكر في الصباح والظهر والمساء ، عند اشتداد الحر في ظلال الاشجار او في صحن دارنا الصغيرة ..

وكثيرا ما كنا نغني ونحن بقرب المغزل او عندما نحرث الارض فنعمل بنشاط وفرح رافعين نفوسنا نحو الجمال والحقيقة .

وكان اخواتنا ينسجن ضفائر الزهر ويعلقنها في قرون البقر .

لم يكن معنى الزمان في بلادنا كما هو عند الاوربيين في أيامنا هذه .

لم يعلمنا حكيم من حكمائنا هذا المبدأ اللعين القائل : الزمان من ذهب ، لاننا لا نحب الذهب ولا نريد ان نضحى بالزمان

العمل عندنا هو ابداع الجمال ورفع النفس الى الافق الاعلى حيث تقيم الالهة .

لما كنت صغيرا ذهبت مع والدي ذات يوم لرؤية الاولاد الصغار الذين يحتفلون بهم لاعتناقهم حرف والديهم .

لا أزال أذكر ان الولد ذهب قبل كل شيء الى النهر واغتسل فيه ليجعل جسده نقيا كنفسه ، ثم جاءت به والدته الى الهيكل حيث كان والداه وعقلاء القرية ينتظرونه حول النار المقدسة فسأله ابوه اذذاك قائلا :

- هل تريد ان تعتنق مهنتي وتحافظ على اسمي ، هل تريد ان تصبح حدادا فتمتم الصبي قائلا وهو مضطرب :

- نعم يا ابتاه .

ثم أقسم قائلا :

- أقسم بالنار وبوالدي ، وبالله الحي القيوم انني ارغب في ان اكون حدادا واريد ان ابدع للناس كل جمال وخير .

ثم عرفه والده بالادوات التي رافقته في ايام الانتاج بامانة واخلاص ، فتقرب الشاب من هذه الاخوات الصغيرة ووضع يده على الملقط والمطرقة والمنفخ وقميص الجلد وعانقها بحنان كأنه يعانق احياء ثم اتم قسمه قائلا :

- أقسم انني سوف لا ألوث هذه الادوات ، وأشهد أنني لا استعملها الا لابداع الجمال والخير .

لقد مر بي زمان كان فيه النساجون يصنعون شالات الكاشمير ويعدون لذلك من رجال الفن كالنقاشين والمصورين .

فكانوا يصفون المبتدئين منهم حول المغزل فيمسك هذا خيطا ازرق وهذا خيطا أصفر وذاك خيطا

آخضر .

وكان رئيسهم يرفع في كل صباح عصيته قبل الابتداء بالعمل فيخيم السكون المطلق ، ثم يفكرون ويتأملون ويصلون جميعا ويبتهلون للاله ان يساعدهم على نفع الناس وابداع الجمال على وجه الارض .

ثم ينقسمون بعد انتهاء الصلاة فرقتين وينشدون قائلين :

ماذا تنسجون ؟
ننسج السماء بالنجوم
ماذا تنسجون ؟
ننسج الارض بالازهار
ماذا تنسجون ؟
ننسج البحر بالاسماك والسفن

وكان كل واحد من المبتدئين يدخل خيط الصوف بحركات متسقة ، وكان معلمهم يجلس بينهم فينظم نبراتهم ويزن نقراتهم ويقود بعصيته كالتي تشبه عصية رئيس الجوق الموسيقي حركة خيطان الصوف وكان العمال ينسجون بأناشيدهم خيوط الصوف الحمراء والصفراء والزرقاء ويولدون بعملهم هذا انغاما متسقة من الاصوات والالوان

ثم انهم يتابعون عملهم كل يوم في الصلاة والانشاد فاذا انقضى عليهم ثلاثة أسابيع انهوا صنع الشال فيأخذه كل عامل بيده وينظر اليه باعجاب .

ان هذا الشال هو عمل الجميع انهم يحبونه كما يحبون الاحياء ليس لحبهم ثمن لأن كلا منهم قد وضع فيه شيئا من نفسه ، انهم معجبون به ، كل عامل يضع يده عليه بلطف ويود ان يبقى الى جانبه فيقول لهم سيدهم :

لننتخب له الآن اسما . ماذا ترى يا (دانوبه).

فيجيب العامل قائلا وهو يحك رأسه :

– أود لو نسميه " شقيق الشمس "

فيقول الاخر :

– او نسميه الوحيد او الاوحد .

ثم يقول النساج :

– لا بل نسميه السرور . ألم ننسجه ونحن في جو من السرور والمحبة . فيصفق الجميع له ثم يودعون هذا الشال الغالي الثمن ويرسلونه الى اقصى مناطق الارض ثم يعودون بعد ذلك الى عملهم ليتعاونوا على ابداع اثر جديد من آثار الفن ينشرون به الجمال وينفعون به البشر .

جميل صليبا